تفسير سورة البلد
دراسة تحليلية

إعداد الدكتور

أحمد ماهر سعيد نصر

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالسادات

من ٢٢٩ إلى ٣٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

تفسير سورة البلد "دراسة تحليلية".

أحمد ماهر سعيد نصر.

قسم التفسير وعلوم القرآن-كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بالسادات- جامعة الأزهر.مصر.

البريد الإلكتروني:ahmadnasr.adv@azhar.edu.eg

يتعرض هذا البحث لتفسير سورة شريفة من سور القرآن الكريم التي صغر حجمها، وقصر مبناها، لكن عظم معناها، وهي سورة البلد، حيث يكشف البحث عن بعض أسرار تلك السورة وأنوارها، من خلال التفسير التحليلي لآياتها ويتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ومقصد، وخاتمة.

أما المقدمة: ففيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهجه.

وأما التمهيد: ففيه دراسةٌ عامة عن سورة البلد، من حيث اسمها، وعدد آياتها، وكلماتها وحروفها، وترتيبها، ونوعها، وتحقيق القول فيما ورد في فضلها، والمناسبة بينها وبين ما قبلها، وبيان الأغراض والمقاصد التي اشتملت عليها.

وأما المقصد: فيشتمل على التفسير التحليلي لسورة البلد، ويتضمن خمسة مطالب هي:

المطلب الأول: التنويه بشأن البلد الحرام، وبيان حال الإنسان في هذه الدنيا.

المطلب الثاني: بعض الأخلاق المذمومة في الإنسان.

المطلب الثالث: تعداد نعم الله ـ عز وجل ـ على الإنسان.

المطلب الرابع: تهويل شأن العقبة وبيان كيفية النجاة منها.

المطلب الخامس: بيان مصير الكفار الأشقياء.

وأما الخاتمة فتشتمل على الدروس المستفادة من السورة الكريمة.

وذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

الكلمات المفتاحية للبحث: سورة البلد ـ تفسير سورة البلد ـ التفسير التحليلي لسورة البلد.

Exegesis of *Surat* (Chapter*) Al-Balad* (The Town): An Analytical Study

Ahmed Maher Nasr
Major of Exegesis and Quranic sciences, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Sadat City, Al-Azhar University
Email: ahmadnasr.adv@azhar.edu.eg

Abstract:
The present research handles the exegesis of a noble Surah, though small and short. Its great meaning, still, reveals some of the secrets of that surah and its lights. Analytic exegesis of its verses shows this. The paper consists of an introduction, a preface, aim, and a conclusion.
The introduction shows the importance of the topic, its rationale, the research plan and its method. It contains a general study on Surat Al-Balad, in terms of its name, number of verses, words, letters, arrangement, type, realization of its merit, harmony between it and preceding chapter, statement of its purposes.
The aim is the analytical exegesis of Surat Al-Balad, including five topics:
Topic one discusses the forbidden town and state of man in this world.
Topic two states some of man's ugly morals.
Topic three enumerates the boons of God on man.
Topic four states the exaggeration of the plight and the way to escape from it.
Topic five explains the fate of the wretched unbelievers.
The conclusion includes lessons learned from the Holy Surah.The research was appended with an index of sources, references and index of topics.
Key words: Surat Al-Balad - Exegesis of Surat Al-Balad - analytical Exegesis of Surat Al-Balad

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين. أما بعد

فإن القرآن الكريم هو خاتمة وحي الله ـ عز وجل ـ إلى الأرض، اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم، يقول الله تبارك وتعالى في وصفه: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ (النحل: ٨٩)، ولا تجد سورة من سور القرآن العظيم إلا وتراها قد حوت الكثير من المسائل والفوائد والعبر والعظات، وإن صغر حجمها وقل عدد آيها.

ومن هذه السور التي صغر حجمها، وقصر مبناها، لكن عظم معناها، فاشتملت على الكثير من الفوائد والأسرار، والعديد من اللطائف والنكات، والعبر والعظات، سورة البلد، فأردت من خلال هذا البحث المتواضع، الوقوف على أسرار تلك السورة وأنوارها، من خلال التفسير التحليلي لآياتها، فكان هذا البحث الذي سميته (تفسير سورة البلد ـ دراسة تحليلية).

وقد دفعني إلى اختيار هذه السورة الكريمة أمورٌ من أهمها:

أولًا: استيفاء هذه السورة الكريمة على صغر حجمها لعدد من الموضوعات المهمة، حتى قال عنها ابن القيم ـ رحمه الله: "فتأمل هذه السورة على اختصارها وما اشتملت عليه من مطالب العلم والإيمان".[١]

ومن ذلك استيفاؤها لعناصر البلاغ والإرسال حيث ذكرت موطن الرسالة، والرسول، والمرسل إليهم، والرسالة، وبيانها لعظمة البلد الحرام، وعظم شأن نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم، وبيانها وتوصيفها لحال الإنسان في الحياة

---

(١) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص٣٩.

الدنيا وأنه يعيش فيها في كبد من لحظة الولادة إلى دخول الجنة فيرتاح، أو دخول النار فتزداد معاناته ومكابدته، وتذكيرها للإنسان بنعم ربه تبارك وتعالى عليه، وإيضاحها لطريق النجاة واقتحام العقبة في الدنيا والآخرة، وبيانها لمنهج كل من الأبرار السعداء، والفجار الأشقياء، ومصير كل فريق.

ثانيًا: أن هذه السورة الكريمة قد تضمنت عددًا من المسائل المختلف فيها بين المفسرين، مما يحتاج معه إلى عرض الأقوال ودراستها، وبيان الراجح منها بالدليل.

ثالثًا: اشتمال تفسير الآية الكريمة على عدد من الفوائد واللطائف المهمة.

خطة البحث:

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى مقدمة، وتمهيد، ومقصد، وخاتمة.

أما المقدمة: ففيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهجه.

وأما التمهيد فيشتمل على سبعة مطالب قدمت بها بين يدي تفسير السورة الكريمة، وهي كما يلي:

المطلب الأول: أسماء السورة الكريمة، ووجه التسمية.

المطلب الثاني: عدد آياتها وكلماتها وحروفها.

المطلب الثالث: ترتيبها.

المطلب الرابع: نوع السورة.

المطلب الخامس: تحقيق القول فيما ورد في فضلها.

المطلب السادس: مناسبة السورة الكريمة لما قبلها.

المطلب السابع: أغراض ومقاصد السورة الكريمة.

وأما المقصد فقد ضمنته التفسير التحليلي لسورة البلد، وقسمته إلى خمسة مطالب هي:

المطلب الأول: التنويه بشأن البلد الحرام، وبيان حال الإنسان في هذه الدنيا.
المطلب الثاني: بعض الأخلاق المذمومة في الإنسان.
المطلب الثالث: تعداد نعم الله عز وجل على الإنسان.
المطلب الرابع: تهويل شأن العقبة وبيان كيفية النجاة منها.
المطلب الخامس: بيان مصير الكفار الأشقياء.
وفي كل مطلب من المطالب السابقة أقوم بتفسير مقطع من مقاطع السورة الكريمة، ذاكرًا ما يلي:
. المناسبة بين آيات هذا المقطع و آيات المقطع السابق.
. القراءات.
. المباحث العربية وفيها (الإعراب، معاني المفردات، بعض الصور البلاغية التي اشتملت عليها الآيات الكريمة).
. مسائل التفسير.
وأما الخاتمة فقد ضمنتها أهم الدروس المستفادة من السورة الكريمة.
ثم ذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.
منهج البحث:
اتبعت في كتابة هذا البحث المنهج التحليلي، الذي يقوم على تحليل النص تحليلًا وافيًا، ويتعرض لكل ما يتعلق بالآية القرآنية من كل جهة، واتبعت في كتابته الخطوات التالية:
١. قمت بإعداد دراسة عامة عن سورة البلد، من حيث اسمها، وعدد آياتها، وكلماتها وحروفها، وترتيبها، ونوعها، وتحقيق القول فيما ورد في فضلها، والمناسبة بينها وبين ما قبلها، وبيان الأغراض والمقاصد التي اشتملت عليها.
٢. عنونت لكل مقطع أو مجموعة آيات من آيات السورة بعنوان يناسبها.
٣. قمت بذكر وجوه المناسبات بين هذه المقاطع المختلفة.

٤. بينت الدلالات اللغوية لكلمات الآيات القرآنية.

٥. ذكرت إعراب كل مقطع من الآيات القرآنية؛ حيث إنه من الوسائل المعينة على فهم النص القرآني.

٦. قمت بذكر ما تيسر من اللطائف البيانية، والصور البلاغية التي حوتها الآيات القرآنية.

٧. قمت بعرض القضايا والمسائل التفسيرية التي اشتملت عليها الآيات القرآنية.

٨. ذكرت الآثار الواردة في تفسير آيات كل مقطع إن وجدت، مع بيان درجتها، من الصحة أو الحسن أو الضعف معتمدًا في ذلك على أقوال بعض العلماء في الحكم عليها، فإن لم أجد من حكم عليه أجتهد في دراسة السند للحكم عليها.

٩. ذكرت بعض النكات التفسيرية التي ذكرها العلماء.

١٠. عزوت الآيات القرآنية الواردة في البحث إلى سورها، بذكر اسم السورة، ورقم الآية في صلب البحث؛ تخفيفًا على الحاشية.

١١. قمت بتخريج الأحاديث الواردة في البحث إلى مصادرها الأصيلة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما أو إلى أحدهما، وإن لم يكن كذلك عزوته إلى مصادره مع بيان درجته، من الصحة أو الحسن أو الضعف معتمدًا في ذلك على أقوال العلماء الأجلاء من المتقدمين والمعاصرين في الحكم عليه.

١٢. وثقت القراءات القرآنية من مصادرها الأصيلة، مع توجيه هذه القراءات من كتب توجيه القراءات وغيرها ما أمكن.

١٣. وثقت النصوص المنقولة توثيقًا علميًا دقيقًا من مصادرها الأصلية بذكر الجزء والصفحة.

١٤. قمت بتوضيح الألفاظ الغريبة والغامضة من خلال قواميس اللغة، والمعاجم، وكتب التعاريف، والغريب.

١٥ . عزوت الشواهد الشعرية إلى دواوينها، ومصادرها المعتمدة.

١٦. التزمت في الكتابة بقواعد الإملاء الحديثة، إلا ما كان من آيات قرآنية فأثبته حسب رسم المصحف.

١٧. قمت بذكر أهم الدروس المستفادة من السورة الكريمة وذلك في خاتمة البحث.

١٨. قمت بإعداد فهرس للمراجع، وفهرس للموضوعات.

الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث في عدد من قواعد البيانات المختلفة، والبحث على شبكة الإنترنت لم أقف على أي بحث أو رسالة علمية يتناول التفسير التحليلي لسورة البلد بصورة مستقلة، لكن وقفت على بعض الدراسات المتعلقة بهذه السورة الكريمة من نواح أخرى وهي كما يلي:

١. سبعون وقفة مع سورة البلد، للدكتور خالد بن عون العنزي، بحث منشور بمجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإسلامية، المجلد الثاني، العدد الثالث، ٢٠١٣م.

وقد تعرض الباحث كما يظهر ذلك من عنوان البحث لسبعين مسألة تتعلق بتفسير السورة الكريمة، لكن لم يفسر السورة تفسيرًا تحليليًا كما في هذا البحث.

٢. القراءات المتواترة والشاذة في سورة البلد جمعًا وتوجيهًا، للدكتور عبد الله إسحاق عبد الله سليمان، بحث منشور بمجلة البحوث والدراسات الشرعية، المجلد الثامن، العدد ٧٩.

وقد تناول البحث القراءات المتواترة والشاذة الواردة في السورة الكريمة، وتوجيه هذه القراءات من لغة العرب، والبحث كما هو ظاهر في القراءات وليس في التفسير.

٣. أضواء على القراءات السبع من خلال سورة البلد، للدكتور عبد الباقي حبيب الله محمد أحمد، بحث منشور بمجلة كلية أصول الدين، جامعة أم درمان، العدد ١١، سنة٢٠١٣م.

وقد تناول البحث القراءات السبع المتواترة الواردة في السورة الكريمة، وتوجيه هذه القراءات من لغة العرب، والبحث كسابقه في القراءات وليس في التفسير.

هذا وقد حاولت ـ قدر طاقتي ـ أن يكون تفسيري لهذه السورة الكريمة سهل التناول، واضح المقصود، مفهوم العبارة، بعيدًا عن الغموض والإبهام، وافي الغرض فيما سيق لأجله، وبذلت فيه ـ حسب ظني ـ قصارى جهدي للوصول إلى المستوى المنشود، ولا أدعي الكمال فيما أديت فيه من عمل، وما قمت به من دراسة، وإنما هو ما بلغه عقلي، ووسعته طاقتي، فإن كان صوابًا فهو فضل من الله أولانيه، وكرم منه أسبغه علي؛ فله الحمد والمنة، وإن كان غير ذلك فإن التقصير من نفسي، وفضل الله يتسع بإذنه لما وقعت فيه من خطأ غير مقصود وحسبي أني ما قصدته، فرحمة الله وسعت كل شيء، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تمهيد

بين يدي السورة الكريمة

وفيه سبعة مطالب

المطلب الأول: أسماء السورة الكريمة، ووجه التسمية:

بالرجوع إلى أقوال العلماء في قضية أسماء السور هل هي توقيفية أو توفيقية؟، وتعدد أسماء السورة الواحدة، فقد تبين أن الراجح من كلامهم أنَّ أسماء السور توقيفية، لا مجال للاجتهاد فيها، وقد أشار إلى ذلك الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ حيث قال: "لسوَر القرآن أسماءٌ سمّاها بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم".[١]

وقال الإمام الزركشي ـ رحمه الله: "وينبغي البحث عن تعداد الأسامي: هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معانيَ كثيرةً تقتضي اشتقاق أسمائها وهو بعيد".[٢]

وظاهر كلامه ـ رحمه الله ـ استبعاد أن تكون أسماء السور توفيقية، وقد أيده في ذلك الإمام السيوطي ـ رحمه الله ـ حيث قال: "السورة الطائفة المترجمة توقيفًا؛ أي المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك".[٣]

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١ ص١٠٠.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ج١ ص٢٧٠.

(٣) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص١٨٦.

وسورتنا الكريمة قد سُميت في المصاحف، وكتب التفسير، بسورة البلد[١]، لمفتتحها[٢] حيث إن الله تبارك وتعالى قد أقسم في أولها بالبلد الحرام فقال ـ عز وجل ـ:﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ ﴾ (البلد: ١).

وقد ترجم لها البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه بلفظ سورة ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ ﴾[٣] وكذا عنون لها الشوكاني في تفسيره.[٤]

وقد وردت هذه التسمية في كلام ابن عباس وابن الزبير ـ رضي الله عنهم ـ، كما أفاد ذلك السيوطي ـ رحمه الله ـ في الدر المنثور.[٥]

وهذه تسمية للسورة بأول جملة افتتحت بها، كما ذكر ذلك الإمام الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ حيث قال: " سميت هذه السورة في ترجمتها عن "صحيح البخاري": "سورة لا أقسم"، وسميت في المصاحف وكتب التفسير "سورة البلد"، وهو إما على حكاية اللفظ الواقع في أولها، وإما لإرادة البلد المعروف وهو مكة".[٦]

المطلب الثاني: عدد آياتها وكلماتها وحروفها:

عدد آياتها: عشرُون آيَة فِي جَمِيع الْعدَد لَيْسَ فِيهَا اخْتِلَاف.[٧]

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٣٠ ص٣٤٥.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ج١ ص٥٢٠.

(٣) يُنظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة ﴿ لَآ أُقۡسِمُ ﴾ ج٤ ص١٨٨٦.

(٤) فتح القدير للشوكاني ج٥ ص٥٣٨.

(٥) حيث قال: أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: "نزلت سورة ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾ بمكة"، وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله. الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ج٨ ص٥١٦.

(٦) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٣٤٥.

(٧) البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو الداني ص٢٧٤.

وأما كلماتها: فاثنتان وثمانون كلمة، وحروفها: ثلاثمائة وأحد وخمسون حرفًا".[١]

المطلب الثالث: ترتيبها.

سورة البلد هي السورة التسعون في ترتيب المصحف الشريف، كُتبت فيه بعد سورة الفجر، وقبل سورة الشمس.

وأما ترتيب نزولها ـ عند من يقول به ـ فهي السورة الخامسة والثلاثون، نزلت بعد سورة "ق"، وقبل سورة "الطارق".[٢]

والمعول عليه من ذلك هو الترتيب المصحفي، حيث ذهبت جماهير العلماء إلى أنَّ ترتيب سور القرآن توقيفي، وأنَّه لم تُوضع سورة في مكانها إلا بأمرٍ من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن جبريل عليه السلام عن ربه ـ عز شأنه ـ كترتيب الآيات سواءً بسواء، وإن كانوا اختلفوا هل كل ذلك الترتيب بتوقيفٍ قوليٍ صريحٍ من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينص على كل سورة أنها بعد سورة كذا، أو أنَّ بعض هذا الترتيب قد استند فيه الصحابة إلى مستندٍ فعليٍ من قراءة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثلًا.[٣]

وأما الترتيب النزولي؛ فلم يأت فيه شيءٌ صحيحٌ يُعول عليه، ويُستند إليه عن واحدٍ من الصحابة، فضلًا عما فوق الواحد، فضلًا عن أن يكون قد ثبت فيه شيءٌ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى نقطع ونُسلم القول به، بل قُصارى ما جاء رواياتٌ يأتيها الضعف من بين يديها ومن خلفها سندًا ومتنًا

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج١ ص٥٢٠.

(٢) كذا عدها عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كما أخرج ذلك ابن الضريس في فضائل القرآن ص٣٣، حديث رقم: (١٧)، وعدها كذلك أيضا جابر بن زيد. يُنظر الإتقان في علوم القرآن، النوع السابع: معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل ج١ ص٩٦.

(٣) علوم القرآن الكريم لنور الدين عتر ص٤٢.

وعقلًا ونقلًا، وأنت خبير بأنَّ أمثال هذه الروايات لا يمكن الاعتماد عليها في أمر القرآن الكريم.[١]

المطلب الرابع: نوع السورة.

اختلف العلماء في نوع السورة الكريمة على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ السورة مكيةٌ بتمامها، نزلت قبل هجرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة، وهو قول جمهور المفسرين[٢]، وحكى ابن الجوزي والقرطبي إجماع المفسرين عليه[٣]، كما حكى الشوكاني عدم وجود خلاف بين المفسرين في القول به[٤]، وقد اقتصر عليه معظم المفسرين.[٥]

---

(١) يُنظر في هذه المسألة (ترتيب السور باعتبار النزول)، كلام العلامة الدكتور إبراهيم خليفة في التفسير التحليلي لسورة النساء ص٤٧،٤٨، وبحثان له حول سور القرآن الكريم ص٥١،٥٢، فقد كر على تلك الروايات التي ذكرها اعتمد عليها الإمام السيوطي وغيره من القائلين بالترتيب النزولي بالنقد والنقض، وانتهى إلى أنَّ القول بهذا النوع من الترتيب أمرٌ مخالفٌ للواقع، ولا دلالة عليه لا من المنقول ولا من المعقول، وقد قام الباحث محمد مجلي أحمد ربابعة بكتابة بحث حول تفسير القرآن على ترتيب النزول منبعه وفوائده، وتعرض في المطلب الأول من هذا البحث للروايات الواردة في ترتيب السور حسب النزول من حيث السند والمتن، وذكر أنه توصل إلى أربع عشرة رواية في ترتيب السور حسب النزول، وحكم على كل رواية من هذه الروايات، وكلها ضعيفة أو موضوعة.

(٢) نسب القول إلى جمهور المفسرين كل من ابن عطية في تفسيره (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٥ ص٤٨٣)، والثعالبي في (الجواهر الحسان في تفسير القرآن ج٥ ص٥٩٠)،

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ج٤ ص٤٤٦، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٢٠ ص٥٩.

(٤) حيث قال: ُ اَ لَآ أُقۡسِمُ ۗ ، هي عشرون آية وهي مكية بلا خلاف". فتح القدير ج٥ ص٥٣٨.

(٥) يُنظر على سبيل المثال: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ج١٢ ص٨٢٧١، الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ج٤ ص٤٨٨، تفسير القرآن

الثاني: أنَّها مدنيةٌ بتمامها، وحكاه ابن عطية عن قوم.[١]

وقد استدل من قال بهذا القول بأثرين يظهر منهما نزول صدرها بمكة بعد الفتح.

. أما الأول: فهو ما رُوي عن أبي بزرة الأسلمي . رضي الله عنه . قال: "فيَّ نزلت هذه الآية ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ ﴾ خرجتُ فوجدتُ عبد الله بن خطل متعلقًا بأستار الكعبة فضربت عنقه بين الركن والمقام".[٢]

. وأما الثاني: فهو ما رُوي عن سعيد بن جبير. رضي الله عنه . قال: "لما فتح النبي . صلى الله عليه وسلم . الكعبة أخذ أبو برزة الأسلمي وهو سعيد بن حرب عبد الله بن خطل وهو الذي كانت قريش تسميه ذا القلبين فأنزل الله ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۖ ﴾ (الأحزاب:٤) فقدمه أبو برزة فضرب عنقه وهو متعلق بأستار الكعبة فأنزل الله فيها ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ ﴾، وإنما كان ذلك لأنه قال لقريش: أنا أعلم لكم علم محمد فأتى النبي . صلى الله عليه وسلم . فقال: يا رسول الله إني أحب أن تستكتبني قال: فاكتب فكان إذا أملى عليه من القرآن وكان الله عليما حكيما

للسمعاني ج٦ ص٢٢٥، معالم التنزيل للبغوي ج٨ ص٤٢٦، الكشاف للزمخشري ج٤ ص٧٥٣، مفاتيح الغيب للرازي ج٣١ ص١٦٤، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ج٥ ص٣١٣، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٨ ص٣٩١، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي ج٢٠ ص٣٣٨، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي ج٩ ص١٦٠.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٥ ص٤٨٣.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ج٨ ص٥١٧ وعزاه لابن مردوديه.

كتب وكان الله حكيما عليما وإذا أملى عليه وكان الله غفورا رحيما كتب وكان الله رحيما غفورا".[١]

الثالث: أنها مدنيةٌ إلا أربع آيات من أولها. [٢]

الترجيح:

الذي يظهر لي والله . تعالى أعلم . أن السورة الكريمة من السور المكية الخالصة، وذلك لأنَّ جمهور المفسرين على هذا القول، كما أن السورة في أسلوبها، وموضوعها، وأغراضها، وقصر آياتها أشبه بالسور المكية، ولا يوجد دليلٌ يُعتمد عليه يُخالف ذلك، وأما الآثار التي استدل بها أصحاب القول الثاني فقد ذكرها الإمام السيوطي . رحمه الله . في الدر المنثور بغير إسناد نستطيع أن نحكم من خلاله على صحة هذه الروايات، وغالب الظن أنها رواياتٌ ضعيفةٌ، لا تقوم على ساق ولا تصلح حجةً للقول بمدنية السورة.

المطلب الخامس: تحقيق القول فيما ورد في فضلها.

لم يثبت في فضل سورة البلد على وجه الخصوص حديثٌ صحيحٌ ثابتٌ عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم .، بل كل ما ورد في ذلك روايةٌ ذكرها بعض المفسرين عند تفسيرهم للسورة الكريمة، كالإمامين الثعلبي، والواحدي حيث أخرجا بسندهما عن أبي بن كعب . رضي الله عنه . قال: قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم .: "من قرأ ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾ أعطاه الله الأمن من غضبه يوم القيامة".[٣]

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ج٨ ص٥١٧ وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) روح البيان لإسماعيل حقي ج١٠ ص٤٣٣، روح المعاني للألوسي ج١٥ ص٣٤٩.

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ج١٠ ص٢٠٦، الوسيط للواحدي ج٤ ص٤٨٨.

وقد نبه علماؤنا عليهم الرحمة على وضع هذه الرواية وأجمعوا على ردها؛ فهي جزءٌ من حديث أبي بن كعب الطويل المشهور المفترى على أبي بن كعب في فضائل سور القرآن سورة سورة.[١]

ومن هؤلاء العلماء العلامة ابن الصلاح حيث قال ـ رحمه الله ـ في معرض حديثه عن الحديث الموضوع: " وَهَكَذَا حَالُ الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ الَّذِي يُرْوَى عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي فَضْلِ الْقُرْآنِ سُورَةً فَسُورَةً. بَحَثَ بَاحِثٌ عَنْ مُخْرَجِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَنِ اعْتَرَفَ بِأَنَّهُ وَجَمَاعَةً وَضَعُوهُ، وَإِنَّ أَثَرَ الْوَضْعِ لَبَيِّنٌ عَلَيْهِ، وَلَقَدْ أَخْطَأَ الْوَاحِدِيُّ الْمُفَسِّرُ، وَمَنْ ذَكَرَهُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ فِي إِيدَاعِهِ تَفَاسِيرَهُمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ".[٢]

ومنهم كذلك الإمام الزركشي ـ رحمه الله ـ حيث قال: "وأما حديث أبي كعب ـ رضي الله عنه ـ في فضيلة سوره سورة فحديث موضوع، قال: ابن الصلاح: ولقد أخطأ الواحدي المفسر ومن ذكره من المفسرين في إيداعه تفاسيرهم، قلت: وكذلك الثعلبي لكنهم ذكروه بإسناد، فاللوم عليهم يقل، بخلاف من ذكره بلا إسناد وجزم به كالزمخشري؛ فإن خطأه أشد".[٣]

قلت: وقد ورد في فضلها مع غيرها من المفصل حديثُ واثلة بن الأسقع ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "أُعطيتُ مكان

---

(١) أخرج الحديث ابن الجوزي في الموضوعات، كتاب العلم، بَاب فِي فَضَائِل السُّور ج١ ص٢٣٩ ـ ٢٤١ ونص على وضعه، كما أورده السيوطي في اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، كتاب العلم، باب فَضَائِل الْقُرْآن ج١ ص٢٠٧.

(٢) معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح ص١٠١.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي ج١ ص٤٣٢.

التوراة السبع الطوال وأُعطيتُ مكان الزبور المئين وأُعطيتُ مكان الإنجيل المثاني وفُضلت بالمفصل".[١]

المطلب السادس: مناسبة السورة الكريمة لما قبلها:

ذكر العلماء وجوهًا عدة لارتباط هذه السورة بما قبلها وهي سورة الفجر، ومن بين هذه الوجوه ما يلي:

١. أنه ـ تعالى ـ لما ذم في سورة الفجر من أحب المال وأكل التراث، ولم يحض على طعام المسكين، ذكر هنا في السورة الكريمة الخصال التي تُطلب من صاحب المال من فك الرقبة والإطعام في يوم المسغبة.[٢]

٢. أنه سبحانه لما ذكر في سورة الفجر ابتلاء الإنسان بالمال وابتلاءه بقلة الرزق، ذكر في سورة البلد أنه خلق الإنسان في كبد وهو ابتلاء على أية حال.[٣]

٣. أنه سبحانه لما بين في سورة الفجر مآل المكذبين للرسل من قوم عاد وثمود وغيرهم، ذكر في هذه السورة الكريمة على سبيل التسلية للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ما يلاقيه من إذاية الكفار له، وعلى سبيل التوبيخ

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ج٢ ص٣٥١، برقم (١١٠٥)، وأحمد في مسنده ج٢٨ ص١٨٨، برقم (١٦٩٨١)، والطبراني في المعجم الكبير ج٢٢ ص٧٥، والبيهقي في شعب الإيمان ج٢ ص٤٦٥، برقم (٢٤١٥)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ج٣ ص٤٦٩، برقم (١٤٨٠)، وفي صحيح الجامع ج١ ص٢٤١، برقم (١٠٥٩)، وفي صحيح الترغيب والترهيب ج٢ ص٨٦، برقم (١٤٧٥).

(٢) أسرار ترتيب القرآن للسيوطي ص١٥٨، روح المعاني للألوسي ج١٥ ص٣٤٩، تفسير المراغي ج٣ ص١٥٥، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن لمحمد الأمين الهرري ج٣٢ ص٥، التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم للدكتور فاضل السامرائي ص١٨٧.

(٣) التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم ص١٨٦.

والتحذير لهؤلاء الكافرين أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك المكذبين، فقال عز وجل: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ ﴾ والمعنى: "أيظن هذا الإنسان الذي هو في تعب ومشقة طول حياته، أنه قد بلغ من القوة والمنعة.. بحيث لا يقدر عليه أحد؛ إن كان يتوهم ذلك، فهو في ضلال مبين، لأن الله ـ تعالى ـ الذي خلقه، قادرٌ على إهلاكه في لمح البصر، وقادرٌ على أن يسلط عليه من يذله، ويقضى عليه، ويدخل في هذا التوبيخ دخولًا أوليًا، أولئك المشركون الذين اغتروا بقوتهم، فآذوا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه إيذاءً شديدًا".[1]

وقد جلى هذه المناسبة ابن الزبير الغرناطي ـ رحمه الله ـ رحمه الله ـ حين قال: "لما أوضح سبحانه حال من تقدم ذكره في السورتين في عظيم حيرتهم، وسوء غفلتهم، وما أعقبهم ذلك من التذكر تحسرا حين لا ينفع الندم ولات حين مطمع، أتبع ذلك بتعريف نبيه علي الصلاة والسلام بأن وقوع ذلك منهم إنما جرى على حكم السابقة التي شاءها والحكمة التي قدرها كما جاء في الموضع الآخر "وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا"، فأشار تعالى إلى هذا بقوله: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ أي إنا خلقناه كذلك ابتلاء ليكون ذلك قاطعا لمن سبق له الشقاء عن التفكر والاعتبار، ﴿ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ۝٥٧ ﴾ (الكهف:٥٧)، فأعماهم بما خلقهم فيه من الكبد، وأعقل قلوبهم فحسبوا أنهم لا يقدر عليهم أحد، وقد بين سبحانه فعله هذا بهم في قوله لنبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾

---

(١) ما بين العلامتين من التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي ج١٥ ص٤٠٢.

(الكهف:٢٨)، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ (يونس:٩٩)، فأنت تشاهدهم يا محمد ذوى أبصار وآلات يعتبر بها النظار، ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾، فلا أخذ في خلاص نفسه واعتبر بحاله وأمسه ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١﴾ ، ولكن ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ (الرعد:١١).[١]

٤. أنه سبحانه لما ذكر في خاتمة سورة الفجر حال النفس المطمئنة، ذكر في خاتمة هذه السورة ما يكون به الاطمئنان؛ وهو الإيمان والتواصي بالصبر.[٢]

٥. أنه سبحانه قد ذكر في سورة الفجر صنفي الإنسان: الغني والفقير؛ الصنف الذي أكرمه ربه ونعّمه، والصنف الذي ابتلاه وضيّق عليه الرزق، وهو ما ذكره في سورة البلد، فقد ذكر الإنسان الذي أهلك المال الكثير، وذكر المسكين ذا المتربة واليتيم ذا المقربة.[٣]

المطلب السابع: أغراض ومقاصد السورة الكريمة:

بالنظر إلى السورة الكريمة نرى أنَّ لها أغراضًا ومقاصد عدة منها:

١. التنويه بشأن مكة البلد الحرام وتشريفها؛ وذلك بحكم القسم بها في صدر السورة الكريمة.

٢. التنويه بمقام ـ صلى الله عليه وسلم ـ بها. وبركته فيها وعلى أهلها.

٣. التأكيد على كون الإنسان بحكم طبيعته ووضعه على هذه الأرض خُلق مكابدًا مكدودًا.

---

(١) البرهان في تناسب سور القرآن لابن الزبير الثقفي الغرناطي ص٣٦٣، ٣٦٤.

(٢) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج٣٢ ص٥.

(٣) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل لفاضل السامرائي ص٢٤٢.

٤. لفت الأنظار إلى غفلة الإنسان وغروره في حال الأمن والعافية حتى ليظن أن لا قدرة لأحد تعلو قدرته.

٥. لفت الأنظار كذلك إلى تزايد سيطرة هذه الغفلة وهذا الغرور بحيث يطغى على تصرفه وسلوكه فيحسب أنه مطلق التصرف في ماله يهلكه ويبدده دون رقيب أو حسيب.

٦. تعداد نعم الله ـ عز وجل ـ على الإنسان حتى يرجع عن عصيانه وغروره، ويخلص العبادة لخالقه جل وعلا.

٧. بيان أهوال يوم القيامة، وما يكون بين يدي الإنسان في الآخرة من متاعب ومصاعب وعقبات لا يستطيع تجاوزها والنجاة منها إلا بالإيمان، والعمل الصالح.

٨. بيان حسن عاقبة المؤمنين، وسوء عاقبة الكافرين في الآخرة.

يقول الفيروزآبادي ـ رحمه الله: "معظم مقصود السّورة: تشريف مكَّة بحكم القَسَم بها، وشدّة حال الأَدنى، والخبر من سرّه وعلانيته، والمِنَّة عليه بالنعم المختلفة، وتهويل عَقَبَة الصِّراط وبيان النجاة منها، ومدح المؤمنين وصبرهم على البلاءِ، ورحمة بعضهم بعضًا، وخلود الكفَّار في النَّار في قوله: ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ۝٢٠ ﴾".[1]

ويقول العلامة الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله: "حوت هذه السورة من الأغراض التنويه بمكة، وبمقام النبيء ـ صلى الله عليه وسلم بها. وبركته فيها وعلى أهلها، والتنويه بأسلاف النبيء صلى الله عليه وسلم من سكانها الذين كانوا من الأنبياء مثل إبراهيم وإسماعيل أو من أتباع الحنيفية مثل عدنان ومضر كما سيأتي.

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج١ ص٥٢٠.

والتخلص إلى ذم سيرة أهل الشرك، وإنكارهم البعث، وما كانوا عليه من التفاخر المبالغ فيه، وما أهملوه من شكر النعمة على الحواس، ونعمة النطق، ونعمة الفكر، ونعمة الإرشاد، فلم يشكروا ذلك بالبذل في سبل الخير، وما فرطوا فيه من خصال الإيمان وأخلاقه".[١]

(١) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٣٤٥،٣٤٦.

المقصد

ويتضمن التفسير التحليلي لسورة البلد

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: التنويه بشأن البلد الحرام، وبيان حال الإنسان في هذه الدنيا.

يقول تعالى: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾.

. مناسبة الآيات لما قبلها:

لما ختم ـ سبحانه وتعالى ـ سورة الفجر بالحديث عن الجنة التي هي أفضل الأماكن التي يسكنها الخلق من أصحاب النفوس المطمئنة، افتتح هذه السورة مقسمًا بأعظم وأشرف البلاد وهي مكة، التي يسكنها أشرف أولي الأنفس المطمئنة وهو النبي ـ صلى الله عليه وسلم.

يقول الإمام البقاعي ـ رحمه الله ـ: " لما ختم كلمات الفجر بالجنة التي هي أفضل الأماكن التي يسكنها الخلق، لا سيما المضافة إلى اسمه الأخص المؤذن بأنها أفضل الجنان، بعد ما ختم آياتها بالنفس المطمئنة بعد ذكر الأمارة التي وقعت في كبد الندم الذي يتمنى لأجله العدم، بعد ما تقدم من أنها لا تزال في كبد ابتلاء المعيشة في السراء والضراء، افتتح هذه بالأمارة مقسماً في أمرها بأعظم البلاد وأشرف أولي الانفس المطمئنة".[١]

. القراءات:

قرأ الجمهور: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ ﴾، وقرأ الحسن: "لأُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَد"، بغير ألف"[٢]، وقراءة الحسن قراءةٌ شاذةٌ[١]، مخالفةٌ لرسم المصحف، وفي

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ج٢٢ ص٤٦.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ج٥ ص٤٨٣.

توجيه هذه القراءة ثلاثة أوجه: أحدها: أن اللام للتوكيد دخلت على الفعل المضارع؛ كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ (النحل: ١٢٤)، وليست لام القسم.

الثاني: أنَّ اللام هي لام القسم، ولم تصحبها النون اعتمادًا على المعنى؛ ولأن خبر الله صدق؛ فجاز أن يأتي من غير توكيد.[٢]

الثالث: أنَّ اللام للابتداء، وأقسم خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: "لأنا أقسم".[٣]

وأما توجيه قراءة الجمهور وبيان معناها، فسيأتي في التفسير إن شاء الله تعالى.

. المباحث العربية:

(أ) الإعراب:

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ ﴾

﴿ لَآ ﴾: فيها خمسة أقوال: أحدها: أنها صلة، نحو قوله تعالى: ﴿ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ (الحديد:٢٩)، والمعنى: ليعلم.

والثاني: أنها بمعنى (ألا) التي يستفتح بها الكلام، كأنّه قال: "ألا أقسمُ بهذا البلد وأنت حلٌ بهذا البلد".[٤]

---

(١) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني ج٢ ص٣٦١.

(٢) التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري ج٢ ص١٢٥٣.

(٣) مفاتيح الغيب للرازي ج٣٠ ص٧٢٠، إعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء العكبري ج٢ ص٦٤٧.

(٤) إعراب القرآن للأصبهاني الملقب بقوام السنة ص٤٨٣.

الثالث: أن لا نفيٌ لكلامٍ ورد له قبل القسم، وهو إنكارهم البعث، والمعنى: لا كما يزعمون أنه لا بعث، ثم قال جل ذكره: ﴿ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ ﴾.[١]

الرابع: أنها نافية للقسم، والمعنى: "لا أقسم بهذا البلد بعد خروجك منه".[٢]، أو "لا أقسم به وأنت حل فيه بل أقسم بك".[٣]

الخامس: أن أصل "لا أقسم"، (لأقسم) بلا ألف، فأشبعت الفتحة فحصل منها ألف.[٤]

﴿ أُقۡسِمُ ﴾: فعل مضارع، مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وفاعله ضمير مستتر وجوبًا، تقديره: "أنا" يعود على الله سبحانه، ﴿ بِهَٰذَا ﴾: جارٌ ومجرورٌ متعلقٌ بـ ﴿ أُقۡسِمُ ﴾ في محل نصب مفعل به، ﴿ٱلۡبَلَدِ ﴾ نعت لهذا، أو بدل منه، أو عطف بيان.

وجملة: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ ... ﴾ ابتدائيّة، لا محلّ لها من الإعراب.

﴿ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ ﴾: ﴿ الواو ﴾: حالية، أو اعتراضية، و﴿ أنت ﴾: ضميرٌ مبنيٌّ على الفتح في محل رفع مبتدأ، ﴿ حِلُّۢ ﴾: خبرٌ مرفوعٌ وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، ﴿ بِهَٰذَا ﴾ متعلق بـ ﴿ حِلُّۢ ﴾، ﴿ ٱلۡبَلَدِ ۝٢ ﴾: نعتٌ لهذا، أو بدلٌ منه، أو عطف بيان، والجملة في محل نصب حال من ﴿ هذا البلد﴾، أو معترضةٌ لا محل لها من الإعراب.

---

(١) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمذاني ج٦ ص٢٧٤.

(٢) المرجع السابق ج٦ ص٣٩٩.

(٣) التبيان في إعراب القرآن للعكبري ج٢ ص٢٨٧.

(٤) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمذاني ج٦ ص٢٧٤.

﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ ﴾: الواو: عاطفة، أو حرف قسم، و﴿ والد ﴾ معطوفٌ على القسم السابق، ﴿ وَمَا ﴾: الواو: عاطفة، ﴿ ما ﴾: اسمٌ موصول بمعنى الذي مبنيٌّ على السكون في محل جر معطوف على ﴿ والد ﴾، ﴿ وَلَدَ ﴾ فعلٌ ماض مبنيٌّ على الفتح لا محل له من الإعراب، وفاعله ضميرٌ مستترٌ جوازًا تقديره هو يعود على ﴿والد ﴾ والجملة صلةٌ لـ ﴿ ما ﴾ الموصولة، لا محل لها من الإعراب، والعائد محذوف تقديره: وما ولده ذلك الوالد.

﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾: ﴿ لَقَدۡ ﴾: اللام موطئة للقسم،﴿قَدۡ﴾: حرف تحقيق،﴿ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾فعلٌ وفاعلٌ ومفعولٌ به، خلق فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ على السكون لاتصاله بـ ﴿ نا ﴾: الفاعلين، و﴿ نا ﴾ الفاعلين ضميرٌ متصلٌ مبنيٌّ على السكون في محل رفع فاعل، و﴿ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾مفعولٌ به منصوبٌ وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، والجملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب، ﴿ فِي﴾: حرف جرٍ مبنيٌّ على السكون لا محل له من الإعراب،﴿ كَبَدٍ ﴾: اسمٌ مجرورٌ بفي وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من ﴿ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾؛ أي: حال كونه مكابدًا للمشاق.

(ب) معاني المفردات:

﴿ البلد ﴾: المكان المحيط المحدود المتأثر باجتماع قطّانه وإقامتهم فيه، وجمعه: بِلَاد وبُلْدَان.[1]

وفي تهذيب اللغة: "البَلَدُ كل مَوضِع مُسْتَحيزٍ من الأَرْض عامِرٍ أَو غير عَامر أَو خالٍ أَو مسكون فَهُوَ بلد، والطائفة مِنْهَا بَلْدَة والجميعُ الْبِلَاد،

(1) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى ص١٤٢، مادة: بلد.

والبُلْدَان اسْم يَقع على الكُوَر والبَلدُ المقْبَرَة، وَيُقَال: هُوَ نَفْسُ الْقَبْر، وَرُبمَا جَاءَ البَلدُ يَعْنِي بِهِ التُّرَاب".[١]، ويقال: "بلد بالمكان بلودًا إذا أقام به ولزمه، أو اتخذه بلدًا".[٢]، والمراد بالبلد في الآية الكريمة: مكة.

﴿ وَأَنتَ حِلٌّ﴾: أَي حَلَال، وَيُقَال: حِل: حَال؛ أَي سَاكن؛ أَي لَا أقسم بِهِ بعد خُرُوجك مِنْهُ.[٣]

في تاج العروس: "ورَجُلٌ "حِلٌّ" من الإحْرام: أَي حَلاَلٌ، أَو لم يُحْرِمْ، وأنتَ فِي حِل مِنِّي: أَي طَلْقٌ. والحِلُّ: الحَالّ، وَهُوَ النّازِلُ، وَمِنْه قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ ﴾.[٤]

﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾: الوالد: هو عنصر الولد المنفصل بانفصال مادته عنه فهو صفة يجيء مؤنثة والدة، وفي تناوله للوالدة كلام سواء كانت له أو لأبيه، فإن أريد به ذات له ولد أو بمعنى (ذو كذا) ك (تامر) و(لابن) فيتناول الأم أيضا.[٥]

وفي تاج العروس: "الوالد: "الْوَالِد: الأَبُ، والوَالِدَة: الأُمُّ، وهما الوَالِدَانِ، أَي تَغْلِيباً، والأُم يُقَال لَهَا الوَالِدُ، بِغيرِ هَاءٍ، على خِلافِ الأَصْلِ، ووالِدَةٌ، بالهاءِ على الأَصْل".[٦]

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ج١٤ ص٩٠.

(٢) القاموس المحيط لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ص٢٦٩.

(٣) غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب لمحمد بن عُزير السجستاني ص٢٠٢.

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ج٢٨ ص٣٣٩.

(٥) الكليات للكفوي ص٤٩٥.

(٦) تاج العروس للزبيدي ج٩ ص٣٢٩، مادة: ولد.

والولد: المَوْلُودُ؛ يقال للواحد والجمع والصّغير والكبير، قال الله تعالى:﴿ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ ﴾ (النساء:١١)، ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾ (الأنعام: ١٠١)، ويقال للمتبنّى وَلَدٌ، قال تعالى:﴿ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ (يوسف:٢١).[١]

وقيل في المراد (بالوالد والولد) في الآية الكريمة: آدمُ وولدُه[٢] يعني ذريته، وقيل: كُلُّ وَالِدٍ، وكُلُّ مَوْلُودٍ، وَمِنْهُمْ آدَمُ ـ عليه السلام ـ وَذُرِّيَّتُهُ.[٣]

﴿ كَبَدٍ ﴾: الكبد المشقة[٤]، "ومنه قولُهم فلانٌ يكابِدُ مَعِيشَتَه أي يقاسي مَشَقَّتَها، وقولهُ تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ أي في شِدَّةِ مُقاساة ومكابدةٍ لأمور الدنيا والآخرة.[٥]

(ج)بعض الصور البلاغية التي اشتملت عليها الآيات الكريمة:

ـ زيادة ﴿ لَآ ﴾ في قوله: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾؛ أي: أقسم بهذا البلد لتأكيد القسم، وهو مستفيضٌ شائعٌ في كلام العرب، كقولهم: لا والله ليس بالأمر كذا؛ أي: والله ليس الأمر كذا، قال امرؤ القيس:

لَا وَأَبِيْكِ ابْنَةَ العَامِرِيّ[٦]

---

(١) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ص٨٨٣.

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة الدينوري ص٥٢٨.

(٣) السراج في بيان غريب القرآن لمحمد بن عبد العزيز بن أحمد الخضيري ص٤٠٤.

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٦٩٥، مادة: كبد.

(٥) غريب الحديث للخطابي ج١ ص٢٣٨.

(٦) البيت قاله امرؤ القيس في قصيدة بعنوان: "رمتني بسهم فلم أنتصر"، يُنظر ديوانه ص١٠٥.

. الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ ﴾، حيث أُعيد لفظ: ﴿ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ الذي سبق قريبًا في قوله: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾، على خلاف مقتضى الظاهر؛ لأن مقتضى الظاهر الإضمار؛ إظهارًا لمزيد فضلها بحلوله فيه.

يقول الإمام البقاعي . رحمه الله: "وكرر إظهاره ولم يضمره زيادة في تعظيمه تقبيحًا لما يستحلونه من أذى المؤمنين فيه، وإشارة إلى أنه يتلذذ بذكره، فقد وقع القسم بسيد البلاد وسيد العباد".[١]

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور . رحمه الله: "وتكرير لفظ "بهذا البلد" إظهارٌ في مقام الإضمار لقصد تجديد التعجيب، ولقصد تأكيد فتح ذلك البلد العزيز عليه والشديد على المشركين أن يخرج عن حوزتهم".[٢]

. جناس الاشتقاق[٣] في قوله: ﴿ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ ﴾ فكل من الوالد والولد مشتق من الولادة.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج٢٢ ص٤٧.

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٣٠ ص٣٤٩.

(٣) الجِنَاسُ: أَنْ يَتَشَابَهَ اللفظانِ في النُّطْق وَيَخْتَلِفَا في الْمَعْنى. وهو نَوْعانِ:

(أ) تَامٌّ: وهو ما اتَّفَقَ فيه اللفظان في أمورٍ أَربعةٍ هيَ: نَوْعُ الحُروفِ، وشَكلُهَا، وعَدَدُها، وتَرْتيبُها.

(ب) غَيْرُ تَامٍّ: وهو ما اخْتَلَفَ فيه اللفظان في واحدٍ مِنَ الأمور الْمُتَقَدِّمة. البلاغة الواضحة ص٢٦٥.

وقد ألحق علماء البلاغة بالجناس شيئين؛ أحدهما: أن يجمع اللفظين الاشتقاق، كقوله تعالى: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ ﴾ (الروم:٤٣)، وقوله تعالى: ﴿ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ ﴾ (الواقعة:٨٩) ، وأطلقوا عليه جناس الاشتقاق، والثاني: أن يجمعهما المشابهة، وهي ما يشبه الاشتقاق كقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ۝٣٨ ﴾ (التوبة:٣٨). التلخيص

. الفواصل المتوازية[١] بين كلمات البلد، وولد، وكبد في قوله تعالى: ﴿ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾، حيث اتفقت هذه الكلمات في الوزن وحروف السجع.

. التنكير في قوله تعالى ﴿ وَوَالِدٖ﴾ لإفادة التعظيم.[٢]، أو لإفادة للعموم[٣].

. التفسير:

قوله تعالى: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾:

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ لَآ أُقۡسِمُ ﴾ على أقوال:

الأول: أنَّ معنى قوله:﴿ لَآ أُقۡسِمُ ﴾: ﴿ أُقۡسِمُ ﴾، وحرف ﴿ لَآ ﴾ صلة، وذلك على عادة العرب في الكلام، فإنها ربما لفظت "لا" من غير قصد معناها الأصلي، بل لمجرد تقوية الكلام وتوكيده كقوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ۝٩٣ ﴾ (طه:٩٢،٩٣)، يعني أن تتبعني، وقوله: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ ﴾ (الأعراف:١٢)، أي أن تسجد على أحد القولين.

في علوم البلاغة للخطيب القزويني ص٣٩٢، الإيضاح في علوم البلاغة له أيضًا ص٣٥٩.

(١) الفاصلة المتوازية: أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع. البرهان في علوم القرآن للزركشي ج١ ص٧٥.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ج٥ ص٣١٣.

(٣) جامع البيان للطبري ج١٥ ص٤٠١، البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ج١٠ ص٤٨٠.

ويدل له قوله في سورة "ص": ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ..الآية ﴾ (ص:٣٨)، وقوله: ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ (الحديد: ٢٩)، أي ليعلم أهل الكتاب، وقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (النساء:٦٥)، أي فوربك، وقوله: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾ (فصلت:٣٤)، أي والسيئة.[١]

قال الزمخشري ـ رحمه الله: "إدخال «لا» النافية على فعل القسم مستفيض في كلام العرب وأشعارهم، قال امرؤ القيس:

لا وأبيك ابنة العامريّ ... لا يدّعى القوم أنّى أفرّ.[٢]

وقال غوية بن سلمى:

ألا نادت أمامة باحتمال ... لتحزننى فلا بك ما أبالى.[٣]

وفائدتها توكيد القسم، وقالوا إنها صلة مثلها في ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾.[٤]

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي ص٢٦٣.

(٢) البيت قاله امرؤ القيس في قصيدة بعنوان: "رمتني بسهم فلم أنتصر"، يُنظر ديوانه ص١٠٥.

(٣) البيت قاله غوية بن سلمى، ومعنى البيت كما في شرح ديوان الحماسة: "أن هذه المرأة التي تُسمى أمامة أظهرت من نفسها ارتحالًا عن هذا الشاعر لتجلب عليه حزنًا وغمًا، ونادت بالفراق، ثم انصرف عن الإخبار عنها وأقبل عليها يخاطبها فقال: لا بك ما أبالي. وهذه اليمين فيها تهكم وسخرية، لأن من يحل من قلبه امرأة محلها لا يجعلها أهلًا للإقسام بها. فقولك لا بك، كقولك لا بالله. وما أبالي جواب القسم. وقيل: أراد لا بك أبالي، أي لا أبالي بك، ويكون ما صلة، والقسم في هذا الكلام على هذا". شرح ديوان الحماسة لأبي على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني ص٧٠٧.

(٤) الكشاف للزمخشري ج٤ ص٦٥٨.

وقد اعتُرض على هذا القول بأن "لا إنما تزاد في وسط الكلام لا في أوله، وأنها إنما تزاد في النفي لا في الإثبات".

يقول الإمام أبو جعفر النحاس ـ رحمه الله: "«لا» زائدة للتوكيد مثل ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ (الأعراف: ١٢)، وهذا القول عند الفراء[١] خطأٌ من جهتين: إحداهما: أن «لا» إذا كانت زائدة لم يُبتدأ بها، والأخرى أنه أن «لا» إنما تزاد في النفي، كما قال: ما كان يرضى رسول الله فعلهما ... والطيّبان أبو بكر ولا عمر[٢]

أي أبو بكر وعمر و «لا» زائدة".[٣]

وذكرت الدكتورة عائشة عبد الرحمن رحمها الله ـ هذا الوجه الثاني من وجوه هذا الاعتراض فقالت: "وكل الشواهد الشعرية التي ذكروها (يعني الشواهد الشعرية التي استشهد بها من قال بأنَّ لا تزاد للتوكيد، سياقُها النفي الصريح، وليس الأمر كذلك في آيات ﴿ لَآ أُقۡسِمُ ﴾ فكلها في سياق الإثبات والتقرير".[٤]

وقد أُجيب على الاعتراض الأول: بأنه إنما جاز أن تُلغى "لا" في أول السورة، لأن القرآن كله كالسورة الواحدة، ألا ترى أن جواب الشيء قد يقع وبينهما سُورٌ كما قال ـ جلَّ وعزَّ ـ جوابًا لقوله: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۝٦ ﴾ (الحجر:٦)، فقال: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ ﴾ (القلم:١،٢)، ومثله في القرآن كثير.[٥]

---

(١) معاني القرآن للفراء ج٣ ص٢٠٧.

(٢) البيت قاله جرير بن عبد الله، وهو في ديوانه ص٢٠١.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ج٥ ص٥١.

(٤) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق لعائشة عبد الرحمن ص٢٨٥.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٢ ص٢٥٢.

وأُجيب عن الاعتراض الثاني القائل (إنَّ «لا» لا تزاد إلا في النفي): بأنه لا يصح على الإطلاق، بدليل ورود بعض الأبيات الشعرية عن العرب التي زيدت فيها لا وليس فيها نفي أو جحد، كقول العجاج:

في بئر لا حور سرى وما شعر.[١]

والمعنى: في بئر حور أي هلكة فزاد «لا» في الإيجاب.

وكقول ساعدة الهذلي:

أفَعنكِ لا برقٌ كأنَّ وميضهُ ... غابٌ تسنَّمه ضرامٌ مثقبُ.[٢]

يعني أعنك برق و "لا"، صلة.

وكقول الشاعر: تَذَكَّرْت لَيْلَى فَاعْتَرَتْنِي صَبَابَةٌ ...وَكَادَ صَمِيمُ الْقَلْبِ لَا يَتَقَطَّعُ

أي يتقطع.

وكقول الآخر: وَيلْحِينُنِي فِي اللَّهْوِ أَلَّا أُحِبَّهُ ... وَلِلَّهْوِ دَاعٍ دَائِبٌ غَيْرُ غَافِلِ[٣]

فإنه أراد: "في اللهو أن أحبه".[٤]

الثاني: أنَّ﴿ لَآ ﴾في الآية الكريمة للنفي، لكنها ليست لنفي القسم، وإنما هي نفيٌ وردٌ لكلام المشركين في إنكارهم البعث أو تكذيبهم الرسول ـ صلى الله

---

(١) البيت قاله العجاج، يُنظر ديوانه ص٢٠.

(٢) البيت قاله ساعدة، ومعنى: "أفعنك برق" يعني من أفعن شقك، ومن ناحيتك هذا البرق. يُنظر شعر ساعدة بن جؤية الهذلي لميساء قتلان ص١٤٥.

(٣) البيت قاله الأحوص الأنصاري، يُنظر شعر الأحوص الأنصاري، جمع وتحقيق د. إبراهيم السامرائي ص١٧٣.

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ج١ ص٢١١.

عليه وسلم .، كما تقول: لا والله ما أفعل، فالوقوف عند لا، و﴿ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾ مستأنف.[١]

وقد رجح هذا القول الفراء ـ رحمه الله ـ حيث قال: "﴿ لَآ أُقۡسِمُ ﴾: كَانَ كَثِير من النحويين يقولون: ﴿ لَآ ﴾ صلة، ولا يبتدأ بجحد، ثُمَّ يُجعل صلة يراد بِهِ الطرح؛ لأن هَذَا الوجاز لم يُعرف خبر فِيهِ جحد من خبر لا جحد فِيهِ، ولكن القرآن جاء بالرد عَلَى الَّذِينَ أنكروا: البعث، والجنة، والنار، فجاء الإقسام بالرد عليهم فِي كَثِير من الكلام المبتدأ مِنْهُ، وغير المبتدأ: كقولك فِي الكلام: لا والله لا أفعل ذاك جعلوا ﴿ لَآ ﴾ وإن رأيتها مبتدأة ردًّا لكلامٍ قَدْ كَانَ مضي، فلو ألقيت ﴿ لَآ ﴾ مما ينوي بِهِ الجواب لم يكن بين اليمين التي تكون جوابًا، واليمين التي تستأنف فرق. ألا ترى أنك تَقُولُ مبتدئًا: والله إن الرَّسُول لحق، فإذا قلت: لا والله إن الرَّسُول لحق، فكأنك أكذبت قومًا أنكروه، فهذه جهة ﴿ لَآ ﴾ مَعَ الإقسام، وجميع الأَيْمان فِي كل موضع ترى فِيهِ ﴿ لَآ ﴾ مبتدأً بها، وهو كَثِير فِي الكلام".[٢]

وقد رد هذا القول الإمام أبو حيان ـ رحمه الله ـ حيث قال: "وقيل: المنفي المحذوف، أي فلا صحة لما يقول الكفار، ثم ابتدأ ﴿أُقۡسِمُ﴾، قاله سعيد بن جبير وبعض النحاة ولا يجوز؛ لأن في ذلك حذف اسم لا وخبرها، وليس جوابًا لسائل سأل، فيحتمل ذلك، نحو قوله لا لمن قال: هل من رجل في الدار؟".[٣]

---

(١) يُنظر إعراب القرآن للنحاس ج٥ ص٥٢، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمذاني ج٦ ص٢٧٣ بتصرف.

(٢) معاني القرآن للفراء ج٣ ص٢٠٧.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان ج١٠ ص٩١.

كما تعقب هذا القول كذلك الشنقيطي ـ رحمه الله ـ فقال: "وهذا القول وإن قال به كثير من العلماء فليس بوجيه عندي لقوله تعالى في سورة " القيامة ": ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾ (القيامة:٢)، لأن قوله تعالى: ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾ يدل على أنه لم يرد الإثبات المؤتنف بعد النفي بقوله: " أقسم "، والله تعالى أعلم".[١]

كما استبعدت هذا القول بنت الشاطئ ـ رحمها الله ـ حيث قالت: "تستبعد بادئ ذي بدء أن تكون "لا" في آيات القسم، ردًا على كلام سبق؛ لأنَّ هذا فضلًا عما سبق من رد أبي حيان، يقتضي القراءة على وجوب الفصل بين: ﴿ لَآ ﴾،﴿ أُقۡسِمُ ﴾، لكمال الانقطاع، وكل القراءات فيها على الوصل".[٢]

الثالث: أنَّ ﴿ لَآ ﴾ في الآية الكريمة على ظاهرها من نفي القسم، ومعنى ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾ يعني: "لا أقسم بهذا البلد وأنت تلحقك فيه إذاية"[٣]، أو "لا أقسم بهذا البلد بعد خروجك منه، أو "لا أقسم به وأنت فيه، بل أقسم بك".[٤]، أو "لا أقسم به، وقد جاء أهله بأعمال توجب الإحلال، إحلال حرمته".[٥]

وهذا القول بعيد لأن المراد إثبات القسم بهذا البلد، بدليل أنه سبحانه أقسم بها في سورة التين في قوله ﴿ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣﴾ (التين:٣).

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي ص٢٦٦.

(٢) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق لعائشة عبد الرحمن ص٢٨٢.

(٣) ما بين العلامتين من التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ج٢ ص٤٨٣.

(٤) ما بين العلامتين من الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمذاني ج٦ ص٢٧٤.

(٥) ما بين العلامتين من البحر المحيط في التفسير ج١٠ ص٤٧٩.

الرابع: أنَّ ﴿ لَآ ﴾ حرف نفي أيضًا، ووجهه أن إنشاء القسم يتضمن الإخبار عن تعظيم المقسم به، فهو نفي لذلك الخبر الضمني على سبيل الكناية، والمراد أنه لا يعظم بالقسم بل هو نفسه عظيم أقسم به أو لا.[١]

الخامس: أن ﴿ لَآ أُقۡسِمُ ﴾ أصلها: لأقسم دخل على فعل القسم لام الابتداء وقد أُشبعت فتحتها فتولدت عنها ألف كقول الشاعر: أعوذ بالله من العقراب[٢]، أُشبعت فتحة الراء فيها، فتولَّد عنها ألِفٌ، وإنما هي: العقرب.[٣] والعرب ربما أشبعت الفتحة بألف والكسرة بياء والضمة بواو.[٤]

وقد رد هذا القول الإمام الزمخشري ـ رحمه الله ـ حيث قال: "قرأ الحسن: فلأقسم، ومعناه: فلأنا أقسم: اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر، وهي: أنا أقسم، كقولك «لزيد منطلق» ثم حذف المبتدأ، ولا يصح أن نكون اللام لام القسم لأمرين:

أحدهما: أن حقها أن يقرن بها النون المؤكدة، والإخلال بها ضعيف قبيح.

والثاني: أن «لأفعلن» في جواب القسم للاستقبال، وفعل القسم يجب أن يكون للحال".[٥]

---

(١) روح المعاني للألوسي ج١٥ ص١٥١.

(٢) لم أقف على قائل هذا البيت، وقد أورده ابن سيده في المحكم والمحيط الأعظم ج٨ ص٤٢٥، وابن منظور في لسان العرب ج١ ص٤٦٠ ونسباه لأحد الشعراء دون التصريح باسمه.

(٣) يُنظر الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمذاني ج٦ ص٢٧٤، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق لعائشة عبد الرحمن ص٢٨١.

(٤) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي ص٢٦٦.

(٥) الكشاف للزمخشري ج٤ ص٤٦٨.

كما ردته أيضًا بنت الشاطئ ـ رحمها الله ـ فقالت: "وتأويل "لا أقسم" بأنها "لأقسم" أشبعت فتحة اللام فيها فتولدت عنها ألف، إذا لم يبعده رد "الزمخشري" فقد يبعده معه أن هذا الإشباع موضع إلباس بـ: لا النافية. ولا إلباس في قراءة "أفئيدة".[١]

السادس: وهو قول الأخفش: أنَّ ﴿ لَآ ﴾ في الآية الكريمة بمعنى ألا الاستفتاحية التي يستفتح بها الكلام، وعليه فمعنى ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾ ألا أقسم بهذا البلد.[٢]

وقد ضعف هذا القول الإمام ابن كثير ـ رحمه الله[٣]، كما استبعده الإمام الشوكاني ـ رحمه الله.[٤]

كما أنه لم يَرِد في كتب النحو كون ﴿ لَآ ﴾ في ﴿ لَآ أُقۡسِمُ ﴾ بمعنى التنبيه، أو لاسْتِفتاح الكلام، الذي هو معنى (ألا)، وهي تختلف كل الاختلاف عن (لا) في معناها وتركيبها.[٥]

السابع: أن ﴿ لَآ أُقۡسِمُ ﴾ بتمامها صيغة من صيغ القسم، وقد ذكر هذا القول القاسمي في تفسيره ونسبه إلى بعض المحققين.[٦]

الثامن: وهو قول عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ أن النفي في الآية الكريمة ليس لنفي القسم، وإنما هو لنفي الحاجة إلى القسم.

---

(١) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق لعائشة عبد الرحمن ص٢٨٣.

(٢) إعراب القرآن للأصبهاني ص٤٨٣ بتصرف.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٨ ص٣١.

(٤) فتح القدير للشوكاني ج٥ ص١٩٢.

(٥) ينظر شرح الكافية ج٤ ص٤٢١، رصف المباني ص٧٨، مغني اللبيب ج١ ص١٤٣، ١٤٤.

(٦) محاسن التأويل للقاسمي ج٩ ص١٢٨.

تقول . رحمها الله تعالى: " إذا تدبرنا آيات القسم في الكتاب المحكم، فيهدينا إلى اطراد مجيء آيات ﴿ لَآ أُقۡسِمُ ﴾ وضمير المتكلم فيها، لله تعالى:

(الواقعة: ٧٥. ٧٧): ﴿ * فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ ﴾.

(الحاقة: ٣٨. ٤٠): ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ ﴾.

(المعارج: ٤٠): ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ ﴾.

(القيامة: ١. ٤): ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ ﴾.

(التكوير: ١٥. ١٩): ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ﴾.

(الانشقاق: ١٦ . ١٩): ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ۝١٩ ﴾ .

(البلد: ١. ٤): ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ ﴾ .

ولم يأت فعل القسم، في القرآن كله، مسندًا إلى الله تعالى بغير ﴿ لَآ ﴾ هذه، كما لم تأت ﴿ لَآ ﴾ النافية مع فعل القسم مسندًا إلى غيره تعالى.....أفلا يهيدنا تدبر سياق آيات﴿ لَآ أُقۡسِمُ ﴾ لله تعالى وحده، إلى سر البيان في ﴿ لَآ ﴾ تنفي حاجته، جل جلاله، إلى القسم؟ بلى، وإنما نحتاج نحن البشر إلى أن نقسم، دفعًا لمظنة اتهام أو إزاحةً لشكٍّ، ومن ثَمَّ نلمح سر العربية إذ

تستعمل هذا الأسلوب، حيث تنتفي الحاجة إلى القسم، في مواضع الثقة واليقين.

وفرقٌ بعيد أقصى البعد، بين أن تكون ﴿ لَآ ﴾ لنفي القسم، كما قال بعضهم، وبين أن تكون لنفي الحاجة إلى القسم، كما يهدي إليه البيان القرآني، ومن نفي الحاجة إلى القسم، يأتي التوثيق والتقرير؛ لأنه يجعل المقام في غنى بالثقة واليقين عن الإقسام.

والسر البياني لهذا الأسلوب، يعتمد في قوة اللفت، على ما يبدو بين النفي والقسم من مفارقة مثيرة لأقصى الانتباه، وما نزال بسليقتنا اللغوية نؤكد الثقة بنفي الحاجة معها إلى القسم، فتقول لمن تثق فيه: لا تقسم، أو: من غير يمين.

مقررًا بذلك أنه موضع ثقتك فلست بحاجة إلى أن يقسم لك، كما تقول لصاحبك: لا أوصيك بكذا، تأكيدًا للتوصية بنفي الحاجة إليها".[١]

وبعد عرض هذه الأقوال يمكن ملاحظة قوة ورجحان القول الأول في أن معنى ﴿ لَآ أُقۡسِمُ ﴾، أقسم ولا صلة للتوكيد، وذلك لدلالة القرآن عليه في قوله تعالى في سورة التين: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣ ﴾ (التين: ٣.١)، وقد جاء في شعر العرب كما سبق ما يدلل على زيادتها في حالة الإثبات.

كما لا يخلو قول عائشة بنت الشاطئ ـ رحمها الله تعالى ـ من وجاهة.

---

(١) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق لعائشة عبد الرحمن ص٢٨٣. ٢٨٥ بتصرف.

قوله: ﴿بِهَٰذَا﴾: الباء حرف جر، وهذا اسم إشارة يشير إلى البلد، وقد أشار ـ سبحانه ـ في الآية الكريمة إلى ﴿ ٱلْبَلَدِ﴾ باسم الإشارة هذا تمييزًا لهذا البلد الشريف، وتنويهًا بشأنه.

يقول الإمام ابن عاشور ـ رحمه الله: "والإشارة بـ «هذا» مع بيانه بالبلد، إشارة إلى حاضر في أذهان السامعين كأنهم يرونه لأن رؤيته متكررة لهم وهو بلد مكة، ومثله ما في قوله: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ﴾ (النمل: ٩١)، وفائدة الإتيان باسم الإشارة تمييز المقسم به أكمل تمييز لقصد التنويه به".[1]

والبلد: كُلُّ قِطْعَةٍ من الأرضِ مُسْتَحِيزَةٍ عامِرَةٍ أو غامِرَةٍ، والمراد بها في الآية الكريمة البلد الحرام مكة المكرمة، أم القرى، وعلى ذلك إجماع المفسرين.

يقول الإمام الرازي ـ رحمه الله: "أجمع المفسرون على أن ذلك البلد هي مكة، وأعلم أن فضل مكة معروف، فإن الله ـ تعالى ـ جعلها حرما آمنا، فقال في المسجد الذي فيها ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ (آل عمران: ٩٧)، وجعل ذلك المسجد قبلةً لأهل المشرق والمغرب، فقال: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ (البقرة: ١٤٤)، وشرف مقام إبراهيم بقوله: ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ (البقرة: ١٢٥)، وأمر الناس بحج ذلك البيت فقال: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾ (آل عمران: ٩٧)، وقال في البيت: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ (البقرة: ١٢٥)، وقال: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا ﴾ (الحج: ٢٦)، وقال:

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٣٠ ص٣٤٦.

﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الحج: ٢٧)، وحرم فيه الصيد، وجعل البيت المعمور بإزائه، ودحيت الدنيا من تحته، فهذه الفضائل وأكثر منها لما اجتمعت في مكة لا جرم أقسم الله ـ تعالى ـ بها".[١]

ويقول الإمام الألوسي ـ رحمه الله: "أقسم سبحانه بالبلد الحرام أعني مكة فإنه المراد بالمشار إليه بالإجماع".[٢]

وقد ذكر الإمام البقاعي ـ رحمه الله ـ سرًا لطيفًا في سبب وصف البلد في سورة التين بالأمن، وعدم وصفه به هاهنا فقال: "ولم يصفه بالأمن؛ لأنه لا يناسب سياق المشقة بخلاف ما في التين، فإن المراد هناك الكمالات.[٣]

قوله تعالى: ﴿ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ ﴾: اختلف المفسرون في إعراب هذه الجملة بين قائل يقول إنها جملةٌ حاليةٌ[٤]، وآخر يقول إنها جملةٌ اعتراضيةٌ بين القسم والمقسم عليه[٥] ، وبناءً على اختلافهم في إعرابها فقد اختلفوا كذلك في معناها، ويمكن تلخيص أقوالهم فيما يلي:

القول الأول: أنَّ الجملة حالية، ومعنى: ﴿ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ أي حالٌ بهذا البلد، ساكنٌ مقيمٌ به، نازل فيه، كأنه تعالى عظم مكة وشرفها من جهة أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ مقيمٌ بها.[٦]

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ج٣١ ص١٦٤.

(٢) روح المعاني للألوسي ج١٥ ص٣٤٩.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ج ٢٢ ص٤٦.

(٤) البحر المحيط في التفسير ج١٠ ص٤٧٩.

(٥) الكشاف للزمخشري ج٤ ص٧٥٣، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ج٢ ص٤٨٣.

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ج٥ ص٤٨٣، مفاتيح الغيب ج٣١ ص١٦٤، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ج٢ ص٤٨٣.

قال الإمام البيضاوي ـ رحمه الله: "أقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيه إظهاراً لمزيد فضله، وإشعارًا بأنَّ شرف المكان بشرف أهله".[١]

وقد ضعف الإمام ابن عاشور ـ رحمه الله ـ هذا القول فقال: " وحكى ابن عطية عن بعض المتأولين: أن معنى وأنت حل بهذا البلد أنه حال، أي ساكن بهذا البلد، وهو يقتضي أن تكون جملة وأنت حل في موضع الحال من ضمير أقسم فيكون القسم بالبلد مقيدًا باعتبار كونه بلد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وهو تأويل جميل لو ساعد عليه ثبوت استعمال حل بمعنى: حال، أي مقيم في مكان فإنَّ هذا لم يرد في كتب اللغة: «الصحاح» و«اللسان» و«القاموس» و«مفردات الراغب»، ولم يعرج عليه صاحب «الكشاف»، ولا أحسب إعراضه عنه إلا لعدم ثقته بصحة استعماله".[٢]

الثاني: أن الجملة اعتراضية بين القسم والمقسم عليه، ومعنى حل: "أي تُسْتَحل فيها حرمتك، كما يستحل الصيد في غير الحرم".

قال الإمام الزمخشري ـ رحمه الله: "أقسم ـ سبحانه ـ بالبلد الحرام وما بعده على أن الإنسان خلق مغمورًا في مكابدة المشاق والشدائد، واعتُرض بين القسم والمقسم عليه بقوله: ﴿ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝ ﴾ يعنى: ومن المكابدة أنَّ مثلك على عظم حرمتك يُستحل بهذا البلد الحرام كما يُستحل الصيد في غير الحرم.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ج٥ ص٣١٣.

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٣٠ ص٣٤٨.

عن شرحبيل بن سعد[١]: يحرّمون أن يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة، ويستحلون إخراجك وقتلك وفيه تثبيت لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وبعثٌ على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة، وتعجيب من حالهم في عداوته".[٢]

الثالث: أن الجملة اعتراضية بين القسم والمقسم عليه، ومعنى ﴿ حِلٌّ ﴾ أي "حلالٌ لك في المستقبل، تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر ليس عليك ما على الناس فيه من الإثم".[٣]

وقد رُوي هذا القول عن مجاهد ـ رحمه الله ـ حيث قال: "﴿ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ ﴾ قال: لا تؤاخذ بما عملت فيه، وليس عليك فيه ما على الناس".[٤]

وعن قتادة ـ رحمه الله ـ قال: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ ﴾ يقول: بريء عن الحرج والإثم.[٥]

---

(١) شرحبيل بن سعد مولى الأنصار، ويكنى أبا سعد، كان شيخًا قديمًا، روى عن زيد بن ثابت، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وعامة أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبقي إلى آخر الزمان حتى اختلط، واحتاج حاجة شديدة، وله أحاديث، وليس يحتج به. الطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص٣١٠.

(٢) الكشاف للزمخشري ج٤ ص٧٥٣.

(٣) معالم التنزيل للبغوي ج٨ ص٤٢٦.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٣١، عن مجاهد بإسناد صحيح، ينظر موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بن بشير بن ياسين ج٤ ص٦٣٢.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٣١، عن قتادة بإسناد صحيح، فالراوي عن قتادة هو سعيد بن أبي عروبة وهو ثقة حافظ من أثبت الناس في قتادة (انظر تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ص٢٣٩) وسمع من سعيد يزيد بن زريع وهو ثقة ثبت (انظر تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ص٦٠١) ، وسمع من يزيد بشر بن معاذ ذكره

وبناءً على هذا التفسير تكون هذه الآية وعدًا وبشارة من الله ـ تبارك وتعالى ـ لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه يحلها له حتى يقاتل فيها، وأن يفتحها على يده.[١]

قال الإمام الزمخشري ـ رحمه الله: "﴿ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ ﴾، يعنى: وأنت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر، وذلك أنّ الله فتح عليه مكة وأحلها له، وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل ما شاء وحرّم ما شاء، قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة، ومقيس بن صبابة وغيرهما[٢]،

ابن حبان في الثقات ج٨ ص١٤٤ ، وقال : "مات سنة خمس وأربعين ومائتين أو قبلها أو بعدها بقليل" ، وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ج٢ ص٣٦٨ ، وقال : " ويزيد بن زريع كتب عنه أبى ؛ سمعت أبى يقول ذلك، سئل أبى عنه فقال صالح الحديث صدوق " ، وحدث عن بشر الإمام الطبري ـ رحمه الله.

(١) معالم التنزيل للبغوي ج٨ ص٤٢٦.

(٢) دل على ذلك أحاديث كثيرة منها ما أخرجه النسائي في (سننه، كتاب تَحْرِيمِ الدَّمِ، باب الْحُكْمُ فِي الْمُرْتَدِّ، ج٧ ص١٠٥، برقم (٤٠٦٧))، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ النَّاسَ، إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ وَقَالَ: «اقْتُلُوهُمْ، وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطَلٍ وَمَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ»، فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطَلٍ فَأُدْرِكَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَاسْتَبَقَ إِلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ حُرَيْثٍ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فَسَبَقَ سَعِيدٌ عَمَّارًا، وَكَانَ أَشَبَّ الرَّجُلَيْنِ فَقَتَلَهُ، وَأَمَّا مَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ فَأَدْرَكَهُ النَّاسُ فِي السُّوقِ فَقَتَلُوهُ، وَأَمَّا عِكْرِمَةُ فَرَكِبَ الْبَحْرَ، فَأَصَابَتْهُمْ عَاصِفٌ، فَقَالَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ: أَخْلِصُوا، فَإِنَّ آلِهَتَكُمْ لَا تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا هَاهُنَا. فَقَالَ عِكْرِمَةُ: وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ يُنَجِّنِي مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا الْإِخْلَاصُ، لَا يُنَجِّينِي فِي الْبَرِّ غَيْرُهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْدًا، إِنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِيَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ، فَلَأَجِدَنَّهُ عَفُوًّا كَرِيمًا، فَجَاءَ فَأَسْلَمَ، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ، فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

وحرّم دار أبى سفيان[١]، ثم قال: "إنّ الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم الساعة، لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدي، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار، فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد، فقال العباس: يا رسول الله، إلا الإذخر فإنه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: إلا الإذخر"[٢].[١]

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ، جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَايِعْ عَبْدَ اللَّهِ، قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، ثَلَاثًا كُلَّ ذَلِكَ يَأْبَى، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ» فَقَالُوا: وَمَا يُدْرِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ، هَلَّا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ؟ قَالَ: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ أَعْيُنٍ»، وصحح الألباني هذا الحديث في صحيح سنن النسائي ج٣ ص٩٣.

(١) يدل على ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة ج٣ ص١٤٠٧، برقم (١٧٨٠) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: " كنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الفتح، فجعل خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى، وجعل الزبير على المجنبة اليسرى، وجعل أبا عبيدة على البياذقة، وبطن الوادي، فقال: «يا أبا هريرة، ادع لي الأنصار»، فدعوتهم، فجاءوا يهرولون، فقال: «يا معشر الأنصار، هل ترون أوباش قريش؟» قالوا: نعم، قال: «انظروا، إذا لقيتموهم غدا أن تحصدوهم حصدا»، وأخفى بيده ووضع يمينه على شماله، وقال: «موعدكم الصفا»، قال: فما أشرف يومئذ لهم أحد إلا أناموه، قال: وصعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصفا، وجاءت الأنصار فأطافوا بالصفا،= =فجاء أبو سفيان، فقال: يا رسول الله، أبيدت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم، قال أبو سفيان: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن»...الحديث".

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللقطة، باب كيف تعرف لقطة أهل مكة ج٢ ص٨٥٧، برقم (٢٣٠٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، إلا لمنشد على الدوام ج٢ ص٩٨٨، برقم (١٣٥٥)، من حديث أبى سلمة عن أبى هريرة ـ رضي الله عنه ـ وله طرقٌ وألفاظ.

وقد اعترض على هذا القول: بأنَّ السورة مكية، وقوله: وأنت حل إخبارٌ عن الحال، والوقائع المذكورة إنما حدثت في آخر مدة هجرته إلى المدينة وتحديدًا بعد فتح مكة فكيف يُجمع بين الأمرين؟[٢]

وأُجيب عن هذا الاعتراض: " بأنَّ اللفظ قد يكون للحال ومعناه مستقبلا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ (الزمر: ٣٠)، وكما إذا قلت لمن تعده الإكرام والحباء: أنت مكرمٌ محبو، وهذا من الله أحسن، لأن المستقبل عنده كالحاضر بسبب أنه لا يمنعه عن وعده مانع".[٣]

ومعنى لا يعضد شجرها: أي لا يُقْطَعُ. ينظر غريب الحديث لابن الجوزي ج٢ ص١٠٣.

ومعنى: لا يختلى خلاها: لا يُحتشّ حشيشها. يُنظر غريب الحديث للقاسم بن سلام ج٤ ص١٢٤.

واللُّقَطَةُ – بفتح القاف –: اسم المال الملقوط، وقال الخليل: هي بالفَتْح: اسمُ الملتَقِط، كسَائر ما جاء على هذا الوَزْن يكون اسمَ الفَاعِل كَهُمَزَة، ولُمَزَة، وضُحَكَة، فأمَّا بسُكُون القَافِ: فاسْمُ المالِ المَلقُوط. يُنظر المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لمحمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني ج٣ ص١٤٠.

ومعنى لمنشد: أي لطالب يطلبها وهو ربها أي: ليست تحل إلا لربها. يُنظر غريب الحديث للقاسم بن سلام ج٢ ص١٣٣.

والإِذْخِرَ: حَشِيشَةٌ طَيِّبَةُ الرِّيحِ. غريب الحديث للحربي ج٢ ص٥٣٥.

والقيون: جمع قين، وهو الحداد والصائغ. يُنظر النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير ج٤ ص١٣٥.

([١]) الكشاف للزمخشري ج٤ ص٧٥٤.

([٢]) يُنظر مفاتيح الغيب للرازي ج٣١ ص١٦٥.

([٣]) الكشاف للزمخشري ج٤ ص٧٥٤، مفاتيح الغيب للرازي ج٣١ ص١٦٥.

الرابع: أن الجملة حالية، ومعنى ﴿ حِلٌّ ﴾ أي حلال، تصنع فيها ما تريد من القتل والأسر ليس عليك ما على الناس فيه من الإثم، وقد قيل هذا القول بناءً على أن السورة مدنية نزلت يوم الفتح، وقد تقدم بيان ضعف هذا القول، والسورة مكية في قول جماهير أهل العلم.

الخامس: أنَّ الجملة حالية، ومعنى ﴿ حِلٌّ ﴾: أي تُستحل حرمتك ويؤذيك الكفار مع أن مكة لا يحل فيها قتل صيد ولا بشر ولا قطع شجر، وعلى هذا قيل: إن لا في الآية الكريمة على ظاهرها من نفي القسم، ومعنى ﴿لَآ أُقۡسِمُ ﴾ يعني لا أقسم بهذا البلد وأنت تلحقك فيه إذاية. [١]

ويُضعف هذا القول أنَّ لا في الآية ليست نافية، والقسم ليس منفيًا كما تقدم بيان ذلك في تفسير الآية الأولى.

السادس: أن الجملة حالية، ومعنى: ﴿ وَأَنتَ حِلٌّ ﴾ أي وأنت مُحِل في هذا البلد غير مُحْرِم في دخولك عام الفتح، وقد قال بهذا القول الحسن وعطاء.[٢]، وهذا القول كالقول الرابع قيل بناء على أنَّ السورة مدنية، وهو قول ضعيف كما تقدم.

السابع: أنَّ الجملة حالية، أو اعتراضية، ومعنى: ﴿ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ ﴾ أي وأنت غير مرتكب في هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه تعظيما منك لهذا البيت، لا كالمشركين الذين يرتكبون فيه الكفر بالله، وتكذيب الرسل.

الثامن: أنَّ الجملة حالية، أو اعتراضية، ومعنى وأنت حل بهذا البلد أي وأنت من حل هذه البلدة المعظمة المكرمة، وأهل هذا البلد يعرفون أصلك ونسبك

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ج٢ ص٤٨٣.

(٢) ذكر هذا القول الإمام الماوردي ـ رحمه الله ـ في تفسيره ج٦ ص٢٧٤ عن الحسن وعطاء، ولم أقف عليه في كتب التفسير المسندة.

وطهارتك وبراءتك طول عمرك من الأفعال القبيحة، وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ (الجمعة: ٢)، وقال: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ (التوبة: ١٢٨)، وقوله: ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ﴾ (يونس: ١٦)، فيكون الغرض شرح منصب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بكونه من هذا البلد.[١]

ويظهر لي ـ والله أعلم ـ بعد عرض هذه الأقوال أنَّ أرجحها هو القول الثالث وذلك لدلالة السنة على هذا الوجه كما تقدم في حديث أبي هريرة الصريح في إحلال الله لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما فعله يوم فتح مكة من القتل والقتال والأسر، ومن القواعد المتفق عليها بين في الترجيح أنه: " إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه".[٢]

على أنَّ بعض الأقوال الأخرى تصدق عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيضًا، فمشركو مكة آذوه مستحلين أذيته، رغم اعتقادهم حرمة الحرم، وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ من أهل تلك البلد ومن سكانها، ولم يرتكب فيها ما ارتكبه الكفار من الشرك.

قوله: ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ ﴾: معطوف على المقسم به الأول وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾. وداخل في حيز القسم. وللمفسرين فيه وجوها:

---

(١) يُنظر القولين السابع والثامن في مفاتيح الغيب للرازي ج٣١ ص١٦٥.

(٢) يُنظر الإحكام في أصول الأحكام للإمام الآمدي ج٤ص٢٧٤، وقواعد الترجيح ج١ ص٢٠٦.

أحدها: أن المراد بالوالد: آدم عليه السلام، والمراد بما ولد: ذريته إلى أن تقوم الساعة، وهو قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في رواية عنه[١]، كما روي عن مجاهد[٢]، ومقاتل[٣]، وقتادة[٤].

وقد استدل من قال بهذا القول بسياق الآيات الكريمة من جهتي السباق واللحاق:

أما من جهة السباق، فإن الآيتين السابقتين فيهما حديث عن البلد وقسم به، وهذا البلد هو مكة التي هي أم القرى، فناسب أن يكون المراد بالوالد هنا آدم ـ عليه السلام ـ الذي هو أبو البشر، فكأنه ـ سبحانه ـ أقسم بأصول الموجودات وفروعها.[٥]

وأما من جهة اللحاق فإنَّ الآيات بعد هذه الآية تتحدث عن جنس الإنسان، فناسب أن يراد بهذه الآية عموم البشر من آدم وذريته.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٢ ص٥٦٩، برقم (٣٩٣٢)، بلفظ: ﴿ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ ﴾ (البلد: ٣)، قال: «يعني بالوالد آدم وما ولد ولده»، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٣٢ عن مجاهد، بإسناد صحيح، يُنظر الصحيح المسبور في التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بن بشير ياسين ج١ ص٥٥ ـ ٥٩.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان ج٤ ص٤٠١.

(٤) أخرجه عبد الرازق في تفسيره ج٣ ص٤٢٧ عن قتادة بسند رجاله ثقات؛ فمعمر بن راشد راوي الأثر عن قتادة والذي روى عنه عبد الرزاق؛ " ثقة ثبت فاضل ". (يُنظر تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج١ ص٥٤١)، ذكره ابن حبان في الثقات ج٧ ص٤٨٤ وقال عنه: " وكان فقيهًا متقنًا حافظًا ورعًا، كنيته أبو عروة مات في رمضان سنة ثنتين أو ثلاث وخمسين ومائة.

(٥) يُنظر أضواء البيان للشنقيطي ج٨ ص٥٣١.

الثاني: أن المراد بالوالد آدم ـ عليه السلام ـ، والمراد بما ولد الصالحين من أولاده، بناءً على أن الطالحين كأنهم ليسوا من أولاده وكأنهم بهائم، كما قال: ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (الفرقان: ٤٤)،﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (البقرة: ١٨).[١]

الثالث: أن المراد بالوالد إبراهيم ـ عليه السلام ـ، والمراد بما ولد أولاده وذريته من العرب والعجم، وهو قول أبي عمران الجوني[٢]، ومنهم من خص ذلك بولده من العرب.[٣]

وقد استدل من قال بهذا القول بأنَّ ظاهر العطف على هذا البلد إرادة من له دخلٌ فيه وشهرة بنسبة البلد إليه والمشهور في ذلك إبراهيم ـ عليه السلام.[٤]

الرابع: أن المراد بالوالد إبراهيم ـ عليه السلام، والمراد بما ولد الصالحين من أبناؤه وذريته الذين اقتفوا أثره وساروا على هديه ومنهم محمدٌ ـ صلى الله عليه وسلم.

وقد رجح هذا القول الإمام الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ وحجته في ذلك: "أنَّ الذي يناسب القسم بهذا البلد، أن يكون المراد بالوالد إبراهيم ـ عليه السلام ـ فإنَّه الذي اتخذ ذلك البلد لإقامة ولده إسماعيل وزوجه هاجر قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ج٣١ ص١٥٠.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٣٣ عن أبي عمران الجوني بإسناد ضعيف، فيه محمد بن موسى بن نفيع الحرشى، وهو "لين الحديث"، ينظر تقريب التهذيب لابن حجر ص٥٠٩، رقم (٦٣٣٨).

(٣) ينظر مفاتيح الغيب للرازي ج٣١ ص٦٥.

(٤) روح المعاني للألوسي ج١٥ ص٣٥١.

ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ (إبراهيم: ٣٥)، ثم قال: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ (إبراهيم: ٣٧)، وإبراهيم والد سكان ذلك البلد الأصليين، قال تعالى: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ (الحج: ٧٨)، ولأنه والد محمد ـ صلى الله عليه وسلم"، ثم قال: "وما ولد موصول وصلة والضمير المستتر في ولد عائد إلى والد والمقصود: وما ولده إبراهيم من الأبناء والذرية، وذلك مخصوص بالذين اقتفوا هديه فيشمل محمدا صلى الله عليه وسلم.

وفي هذا تعريض بالتنبيه للمشركين من ذرية إبراهيم بأنهم حادوا عن طريقة أبيهم من التوحيد والصلاح والدعوة إلى الحق وعمارة المسجد الحرام قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ (آل عمران: ٦٨)".[١]

الخامس: أن المراد بالوالد إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ والمراد بما ولد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكأنه ـ عز وجل ـ أقسم بمكة، وإبراهيم بانيها، وإسماعيل ومحمد ـ عليهما السلام ـ سكانها.[٢]

السادس: أن المراد "بالوالد وما ولد" نوح ـ عليه السلام، وذريته.[٣]

السابع: أن الوالد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وما ولد أمته.[٤]

وقد استدل من قال بهذا القول بعدة أدلة وهي:

أولًا: تقدم ذكره ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الآية السابقة لهذه الآية الكريمة.

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٣٠ ص٣٤٩.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ج٣١ ص١٦٥.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ج٥ ص٤٨٣، البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ج١٠ ص٤٨٠.

(٤) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ج١٠ ص٤٨٠.

ثانيًا: قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "إنما أنا لكم بمنزلة الوالد".[١]

ثالثاً: قراءة أبي كعب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، ومحمد بن جعفر: "وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم".[٢][٣]

الثامن: أن المراد بالوالد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، والمراد بما ولد من ولده وهما إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام.

وقد اختار الإمام الزمخشري ـ رحمه الله ـ هذا القول عند تفسيره للآية الكريمة فقال: " فإن قلت: ما المراد بوالد وما ولد؟ قلت: رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ومن ولده، أقسم ببلده الذي هو مسقط رأسه وحرم أبيه إبراهيم ومنشأ أبيه إسماعيل، وبمن ولده وبه".[٤]

التاسع: أن المراد بالوالد الذي يلد، والمراد بما ولد العاقر الذي لا يلد، فتكون ما للنفي.[٥]، وقد روي هذا القول عن عكرمة[٦]، كما روي كذلك عن ابن عباس[٧] ـ رضي الله عنهما.

---

(١) حديث حسن: أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب كراهية استقبال القبلة عند الحاجة ج١ ص٨، برقم (٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ج١ ص٤٦٣، برقم (٢٣٤٢)،

(٢) هذه قراءة شاذة، يُنظر شواذ القراءات للكرماني ص٣٨٣، البحر المحيط في التفسير ج٦ ص١٨٧.

(٣) ينظر البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ج١٠ ص٤٨٠.

(٤) الكشاف للزمخشري ج٤ ص٧٥٤.

(٥) تفسير القرآن للسمعاني ج٦ ص٢٢٦.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٣٢ عن عكرمة بإسناد حسن. يُنظر الصحيح المسبور في التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بشير ياسين ج٤ ص٦٣٢.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٣١ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بإسنادين كلاهما ضعيف، ففي كليهما خصيف بن عبد الرحمن وهو ضعيف لسوء حفظه، "قال أبو

وهذا القول ضعيف وذلك لأنه لا يصح هذا إلا بإضمار الموصول، كأنه قيل: ووالد والذي ما ولد، ولا يجوز إضمار الموصول عند البصريين.[١]

العاشر: أن الوالد وما ولد في الآية الكريمة على العموم فهي أسماء جنس يدخل فيها كل والد وكل مولود من الإنسان والحيوان[٢] وقد روي هذا القول عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ من طريق عطية العوفي.[٣]

وقد رجح هذا القول الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ فقال: "والصواب من القول في ذلك: ما قاله الذي قالوا: إن الله أقسم بكلّ والد وولده، لأن الله عم كلّ والد وما ولد، وغير جائز أن يخصّ ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبرٍ، أو عقل، ولا خبر بخصوص ذلك، ولا برهان يجب التسليم له بخصوصه، فهو على عمومه كما عمه".[٤]

وبعد عرض هذه الأوجه في تفسير الآية الكريمة يمكن القول بأنَّ الوجه المروي عن عكرمة ـ رحمه الله ـ في تفسير الآية ضعيف؛ وذلك لأنَّ الظاهر

طالب عن أحمد ضعيف الحديث، وقال حنبل عنه ليس بحجة ولا قوي في الحديث، وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه ليس بقوي في الحديث، قال وقال مرة ليس بذاك وقال أبو خصيف شديد الاضطراب في المسند، وقال ابن معين ليس به بأس وقال مرة ثقة وقال أبو حاتم صالح يخلط وتكلم في سوء حفظه". (يُنظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج٣ ص١٤٣، ١٤٤).

(١) يُنظر التفسير البسيط للواحدي ج٢٤ ص١٢، مفاتيح الغيب للرازي ج٣١ ص١٦٥، فتح القدير للشوكاني ج٥ ص٥٣٩.

(٢) يُنظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ج٥ ص٤٨٣.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٣٢ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ من طريق عطية العوفي، وهو إسناد مسلسل بالضعفاء، يُنظر تعليق الشيخ أحمد شاكر على رجال الإسناد في تعليقه على تفسير الطبري ج١ ص٢٦٣.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج٢٤ ص٤٣٣.

من ما في الآية الكريمة أنها موصولة وليست نافية، كما أنَّه لا يصح إلا بإضمار موصول كما تقدم، ولا يجوز إضمار الموصول عند البصريين، وكذلك من القواعد المرجحة عند المفسرين أنَّ الكلام إذا دار بين التقدير وعدمه حُمل على عدم التقدير[١]، أما بقية الوجوه فلكل واحد منها وجاهته وما يؤيده إلا أنني أميل إلى هذا الوجه الأخير الذي رجحه الإمام الطبري، وذلك لما تقدم ذكره من كلام الطبري ـ رحمه الله، كما أنَّ بقية الأقوال تدخل تحت عموم هذا القول ومن القواعد المقررة عند أهل العلم أنه : "متى أمكن حمل الآية على معنى كليٍّ عامٍ شاملٍ يجمع تفسيراتٍ جزئية جاءت في تفسيرها ، ولا معارض له، وتشهد الأدلة لصحته، فهو أولى بتفسير الآية حملًا لها على عموم ألفاظها، ولا داعي لتخصيصها بواحد من المعاني الجزئية التي جاءت في التفاسير إلا أن يكون السياق يقتضي تخصيصها حتمًا أو يقوم الدليل على ذلك".[٢]

وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ ﴾: جواب القسم، وفي المراد بالإنسان اختلف المفسرون فيه على أقوال:

أحدها: أن الإنسان اسم جنس، يُراد به العموم، وهو قول جمهور المفسرين.[٣]

الثاني: أن التعريف في الإنسان تعريف الجنس، ولكن المراد به خصوص أهل الشرك، وقد رجح هذا القول الإمام الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ وبين سبب ترجيحه فقال: "وذلك لأنَّ قوله: ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ ﴾

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي ج٢ ص٤٢٣.

(٢) قواعد التدبر الأمثل لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص٥٩ ، قواعد الترجيح ج٢ ص٥٢٧.

(٣) نسب هذا القول إلى الجمهور الإمام أبو حيان ـ رحمه الله ـ في تفسيره ج١٠ ص٤٨١.

(البلد: ٥) إلى آخر الآيات لا يليق إلا بأحوال غير المؤمنين، فالعموم عموم عرفي، أي الإنسان في عرف الناس يومئذ، ولم يكن المسلمون إلا نفرًا قليلًا ولذلك كثر في القرآن إطلاق الإنسان مرادًا به الكافرون من الناس".[١]

الثالث: أن الإنسان في الآية الكريمة يُراد به إنسانًا معينًا، فالتعريف فيه للعهد، وقد وردت أقوالٌ كثيرةٌ في المراد بهذا الإنسان: فقال ابن زيد هو آدم عليه السلام[٢]، "وعن الكلبي أنه أبو الأشد ويقال: أبو الأشدين، واسمه أسيد بن كلدة الجمحي، كان معروفًا بالقوة والشدة يجعل الأديم العكاظي تحت قدميه فيقول: من أزالني فله كذا، فيجذبه عشرة رجال حتى يمزق الأديم ولا تزول قدماه، وكان شديد الكفر والعداوة للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنزل فيه: أيحسب أن لن يقدر عليه أحد (البلد: ٥)[٣]، وقيل: هو الوليد بن المغيرة،

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٣٠ ص٣٥٠.

(٢) نسب هذا القول إلى عبد الرحمن بن زيد الإمام أبو حيان ـ رحمه الله ـ في (تفسيره ج١٠ ص٤٨١)، حيث قال: "وقال ابن زيد: ﴿ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾: آدم، ﴿ فِي كَبَدٍ﴾: في السماء، سماها كبدًا"، وقد أخرج الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٣٥ عنه أنه قال: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾: في السماء، يسمى ذلك الكَبَد"، ويُفهم من كلامه أنه أراد بالإنسان آدم ـ عليه السلام ـ، وقد روى الطبري هذا الأثر عنه بإسناد صحيح، فالراوي عن عبد الرحمن هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم أبو محمد المصري الفقيه وهو ثقةٌ حافظٌ عابد. (يُنظر تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ص٥٤٥)، وروى عن عبد الله يونس بن عبد الأعلى وهو أمامٌ حافظٌ مقرئٌ فقيه. (يُنظر تذكرة الحفاظ للذهبي ج٢ ص٨٤)، وعنه روى الإمام الطبري ـ رحمه الله.

(٣) ذكر هذا الأثر الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسيره بغير إسناد، وبصيغة تشعر بتضعيفه له حيث قال: "وقوله: ﴿ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥﴾ ذُكر أن ذلك نزل في رجل بعينه من بني جُمح، كان يُدعى أبا الأشدّ، وكان شديدًا، فقال جلّ ثناؤه: أيحسب هذا القويّ بجَلَده وقوّته، أن لن يقهره أحد ويغلبه، فالله غالبه وقاهره".

وقيل: هو أبو جهل، وعن مقاتل: نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل، زعم أنه أنفق مالا على إفساد أمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم[١] ـ، وقيل: هو عمرو بن عبد ود الذي اقتحم الخندق في يوم الأحزاب ليدخل المدينة فقتله علي بن أبي طالب خلف الخندق".[٢]

وكما اختلف المفسرون في تعيين المراد بالإنسان، فقد اختلفوا كذلك في معنى قوله تعالى: ﴿فِي كَبَدٍ﴾ على أقوال:

أحدها: أن المراد بالكبد النصب، والتعب والمشقة والمكابدة، ومعنى الآية بناءً على ذلك أن الله ـ عز وجل ـ جعل جنس الإنسان في كبد، فهو يكابد مشاق الدنيا والآخرة، ومشاقه لا تكاد تنحصر من أول قطع سرته إلى أن يستقر قراره، إما في جنةٍ فتزول عنه المشقات، وإما في نار فتتضاعف مشقاته وشدائده.[٣]

وقد رُوى هذا القول عن جماعةٍ من السلف[٤]، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: "قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ يقول: في نَصَب".[١]

وقد نقل هذا الأثر أيضًا ابن عطية ـ رحمه الله ـ في تفسيره ج٥ ص٤٨٤ حيث قال: "ورُوي أن سبب الآية وما بعدها هو أبو الأشدين رجل من قريش شديد القوة، اسمه أسيد بن كلدة الجمحي، كان يحسب أن أحدا لا يقدر عليه". ولم أقف على هذا الأثر مسندًا، والراجح أنه ضعيف.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ج٤ ص٧٠١.

(٢) يُنظر هذه الأقوال في الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ج١٠ ص٢٠٧،٢٠٨، زاد المسير لابن الجوزي ج٤ ص٤٤٧، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٣٠ ص٣٥٠.

(٣) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ج١٠ ص٤٨١.

(٤) يُنظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج٢٤ ص٤٣٣،٤٣٤.

ومن طريق عطاء عنه ـ رضي الله عنه ـ قال: "﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ "في شدة خلق في ولادته ونبت أسنانه وسوره ومعيشته وختانه".[٢]

وعن قتادة ـ رحمه الله ـ قال: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ حين خُلِق في مشقة لا يُلَفى ابن آدم إلا مكابدًا أمر الدنيا والآخرة".[٣]

وعن مجاهد ـ رحمه الله ـ قوله: ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ قال: شدّة.[٤]

الثاني: أن ﴿فِي كَبَدٍ﴾ معناه: منتصب القامة واقفًا يمشي على رجليه، ولم يُخلق منكبًا على وجهه، كسائر الحيوانات التي خلقت تمشي على أربع وهذا امتنان عليه.[٥]، "وهو كقوله عز وجل: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤ ﴾ (التين: ٤)".[٦] وقد رُوي هذا القول عن جماعة من السلف[١] منهم عبد

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٣٣، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بإسناد حسن. يُنظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ج٤ ص٦٣٣.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٢ ص٥٧٠، برقم (٣٩٣٣)، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص، كما روى هذا الأثر كذلك الحافظ ابن حجر بإسناده إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، وقد ذكره في الفتح ج٦ ص٣٦٥، وصححه.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٣٣ عن قتادة، بإسناد حسن. يُنظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ج٤ ص٦٣٣.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٣٤ عن مجاهد بإسناد صحيح. يُنظر الصحيح المسبور في التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بن بشير ياسين ج١ ص٥٥ ـ ٥٩.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٥ ص٣٢٨، الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ج١٢ ص٨٢٥٧، البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ج١٠ ص٤٨١.

(٦) ما بين العلامتين من تفسير السمرقندي ج٣ ص٤٧٩.

الله ابن عباس . رضي الله عنهما .؛ حيث روي عنه من طريق عطية العوفي عنه أنه قال: "(لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي كَبَدٍ) قال: في انتصاب".[٢]، ومن طريق مُقْسِم {لقد خلقنا الإنسان في كبد} قال: خلق الله الإنسان منتصبًا وخلق كل شيءٍ يمشي على أربع.[٣]

وعن إبراهيم النخعي . رحمه الله ." ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾ قال: منتصبًا".[٤]

وعن عكرمة . رحمه الله . قال: " ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾: في انتصاب".[٥]

---

(١) يُنظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج٢٤ ص٤٣٤.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٣٤ من طريق عطية العوفي، وهو إسناد مسلسل بالضعفاء، يُنظر تعليق الشيخ أحمد شاكر على رجال الإسناد في تعليقه على تفسير الطبري ج١ ص٢٦٣.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور ج٨ ص٥١٩، ٥٢٠ وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره عن إبراهيم النخعي بإسناد صحيح. يُنظر آراء إبراهيم النخعي في التفسير جمعًا ودراسةً وتعليقًا من سورة النساء إلى آخر القرآن ص٥٦٥.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٣٤، عن عكرمة بإسناد صحيح، فالراوي عن عكرمة هو عمارة بن أبي حفصة وهو إمام محدث ثقة. (يُنظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج٧ ص٢٥٧، سير أعلام النبلاء للذهبي ج٦ ص١٣٨)، والراوي عن عمارة هو شعبة بن الحجاج كان ثقةً مأمونًا ثبتًا، صاحب حديث (يُنظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج٧ ص٢٨٠)، حجة والراوي عن شعبة حرمي بن عمارة وهو ثقة. (يُنظر الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي ج١ ص٣١٨، رقم: (٩٨٠)، وحدث عن حرمي محمد بن المثنى وهو إمام حافظ ثبت، قال عنه الدارقطني أحد المحدثين الثقات (يُنظر سير أعلام

وعن أبي صالح ـ رحمه الله ـ ﴿ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ قال: قائمًا.[١]

وعن الضحاك ـ رحمه الله ـ قال: ﴿ فِى كَبَدٍ ﴾ خُلِق منتصبًا على رجلين، لم تُخلق دآبةٌ على خلقه".[٢]

الثالث: وهو قول ابن كيسان أن معنى قوله ﴿ فِى كَبَدٍ ﴾: منتصبًا رأسه فإذا أذن الله سبحانه في إخراجه انقلب رأسه إلى رجلي أمّه.[٣]

النبلاء ج١٢ ص١٢٣، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال لمغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري ج١٠ ص٣٢٩).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره عن أبي صالح بإسناد صحيح، فالراوي عن أبي صالح هو إسماعيل بن أبي خالد وهو: "إمام حافظ، وكان حجةً متقنًا مكثرًا عالمًا" (يُنظر تذكرة الحفاظ للذهبي ج١ ص١١٥)، وروى عنه يحيى بن سعيد= =القطان وهو: "ثقةٌ متقنٌ حافظٌ إمامٌ قدوة" (يُنظر تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ص٥٩١، رقم (٧٥٥٧)، وحدث عن يحيى بن سعيد يحيى بن داود بن ميمون الواسطي وهو ثقة. (يُنظر تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ص٥٩٠، رقم (٧٥٤١) وعنه روى الإمام الطبري ـ رحمه الله.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٣٥ عن الضحاك بإسناد ضعيف، فيه الحسين بن الفرج الخياط البغدادي: وهو كما قال الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله: "شيخٌ لا يُعبأ بروايته، قال فيه ابن معين: "كذابٌ، صاحب سكر، شاطر"؛ مترجم له في (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج٣ ص٦٢)، وتاريخ أصبهان ج١ ص٣٢٩، ولسان الميزان لابن حجر ج٣ ص٢٠٠، والطبري يروي عنه في التفسير كثيرًا بإسناد مجهول، يقول: "حدثت عن الحسين بن الفرج". ولعل ذلك من أجل ضعف حديثه، فلا يصل الإسناد إليه، وصرح في بعض مرات في التاريخ باسم من حدثه عنه، انظر التاريخ ج١ ص٥٩،٨١.

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ج١٠ ص٢٠٧، البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ج١٠ ص٤٨١.

قال الإمام السمعاني ـ رحمه الله ـ "وفي تفسير النقاش: أن الله ـ تعالى ـ وكَّل ملكًا بالولد في بطن الأم فإذا قامت المرأة، أو اضطجعت رفع رأس الولد؛ لئلا يغرق في الدم".[١]

الرابع: وهو قول عبد الله بن عمر والحسن البصري أن معنى قوله ﴿ فِي كَبَدٍ ﴾ أي يكابد الشكر على السراء، ويكابد الصبر على الضراء.[٢]

الخامس: أن المراد بالكبد شدة الخلق، والقوة، وهو قول الكلبي، قال: "نزلت في رجل من بني جمح، كان يكنى أبا الأشدين، وكان يجعل تحت قدميه الأديم (العكاظي)، ثم يأمر العشرة فيجتذبونه من تحت قدميه، فيتمزق (الأديم)، ولم تزل قدماه، ونحو هذا قال مقاتل.[٣]

السادس: أن معنى: ﴿ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾ أي خلقناه أطوارًا كلها شدة ومشقة[٤]، من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، يتكبد في الخلق مأخوذ من تكبد الدم وهو غلظه، ومنه أُخذ اسم الكبد لأنه دمٌ قد غلظ.[٥]

السابع: أنَّ معنى في كبد أي في السماء، والمراد بالإنسان آدم ـ عليه السلام، وهو قول ابن زيد.[٦]

---

(١) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني ج٦ ص٢٧٧.

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ج١٠ ص٢٠٧، النكت والعيون للماوردي ج٦ ص٢٧٦، زاد المسير في التفسير لابن الجوزي ج٤ ص٤٤٧.

(٣) يُنظر الكشف والبيان للثعلبي ج١٠ ص٢٠٧، التفسير البسيط للواحدي ج٢٤ ص١٧،١٨.

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ج٣١ ص١٦٦.

(٥) النكت والعيون للماوردي ج٦ ص٢٧٦،

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٣٥ عن ابن زيد، بإسناد صحيح، وقد تقدم الكلام على رجال الإسناد.

الثامن: أن معنى في كبد أي أنه ذو نفور وحميّة، مأخوذ من قولهم لفلان كبَد، إذا كان شديد النفور والحمية.[١]

وبعد عرض هذه الأقوال في المراد بالإنسان، وفي معنى الكبد فإني أميل إلى أن الإنسان في الآية الكريمة اسم جنس يعم كل إنسان، وذلك لأن الظاهر المتبادر من لفظ الإنسان، أنه يعم كل إنسان كائنًا من كان، ولا يوجد دليل صحيح يمكن التعويل عليه في تخصيصه، ومن القواعد المتفق عليها في الترجيح عند المفسرين: "أن نصوص الكتاب والسنة لا يجوز صرفها عن ظاهرها المتبادر منها إلا بدليل يجب الرجوع إليه"[٢]، وأنه " يجب حمل اللفظ على عمومه إلا أن يرد دليل يخصصه ".[٣]

وبعد ترجيح أنَّ المراد بالإنسان الجنس، فإني أميل كذلك إلى أن المراد بالكبد المشقة والتعب وذلك لأن هذا المعنى هو اللائق بتفسير الآية الكريمة[٤]، كما أنَّ ذلك المعنى هو المعروف في كلام العرب من معاني الكَبَد، ومنه قول لبيد بن ربيعة:

عَيْنِ هَلا بَكَيْتِ أَرْبَدَ إذْ ... قُمْنا وَقَامَ الخُصُومِ فِي كَبَد.[٥][١]

---

(١) النكت والعيون للماوردي ج٦ ص٢٧٦.

(٢) يُنظر أضواء البيان ج٤ ص٢٣٢، قواعد الترجيح عند المفسرين ج١ ص ١٦٦.

(٣) يُنظر التمهيد في أصول الفقه لأبي الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوذاني ج١ ص٩، قواعد الترجيح ج٢ ص٥٣٩.

(٤) يُنظر مفاتيح الغيب للرازي ج٣١ ص١٦٦.

(٥) البيت قاله لبيد بن ربيعة في قصيدة يرثي فيها أربد بن قيس، وكان أخا لبيد لأمه، وقد وفد على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع عامر بن الطفيل، وجابر بن سلمى بن مالك، فعرض الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليهم الإسلام فلم يسلموا، وفي الطريق توفي عامر بالطاعون، وأصابت أربد صاعقة فأحرقته، فنظم لبيد قصيدة يرثي فيها أخاه مطلعها: ما إن تُعرّى المنون من أحد. يُنظر ديوان لبيد بن ربيعة ص٣٤.

وقد رجح هذا القول جمعٌ كبيرٌ من المفسرين منهم ابن جرير الطبري، وابن عطية، والرازي، وابن جزي الكلبي، وأبو حيان، وغيرهم.[٢]

يقول الإمام أبو حيان ـ رحمه الله: "والجمهور: على أنَّ ﴿ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ اسم جنس، و﴿ فِي كَبَدٍ ﴾: يكابد مشاق الدنيا والآخرة، ومشاقه لا تكاد تنحصر من أول قطع سرته إلى أن يستقر قراره، إما في جنة فتزول عنه المشقات وإما في نار فتتضاعف مشقاته وشدائده، وقال ابن عباس وعبد الله بن شداد وأبو صالح والضحاك ومجاهد: ﴿ فِي كَبَدٍ ﴾ معناه: منتصب القامة واقفًا، ولم يُخلق منكبًا على وجهه، وهذا امتنان عليه، وقال ابن كيسان: منتصبًا رأسه في بطن أمه، فإذا أذن له بالخروج، قلب رأسه إلى قدمي أمه، وعن ابن عمر: يكابد الشكر على السراء، ويكابد الصبر على الضراء، وقال ابن زيد: ﴿ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾: آدم، ﴿ فِي كَبَدٍ ﴾: في السماء، سماها كبدًا، وهذه الأقوال ضعيفة، والأول هو الظاهر".[٣]

وقد أُتي في الآية الكريمة بفي التي تدل على الظرفية لدلالة على أنَّ الكبد قد أحاط بالإنسان إحاطة الظرف بالمظروف، وفيه إشارة إلى أنه ليس في الدنيا إلا الكد والمحنة.[٤]

---

(١) يُنظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج٢٤ ص٤٣٥.

(٢) يُنظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج٢٤ ص٤٣٥، المحرر الوجيز لابن عطية ج٥ ص٤٨٤، مفاتيح الغيب للرازي ج٣١ ص١٦٦، التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي الكلبي ج٢ ص٤٨٤، البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ج١٠ ص٤٨١.

(٣) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ج١٠ ص٤٨١.

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ج٣١ ص١٦٦.

يقول الإمام الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله: "والظرفية من قوله: في كبد مستعملة مجازًا في الملازمة فكأنه مظروف في الكبد".[١]

وهذه الآية الكريمة تسليةٌ لرسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما كانَ يكابدُه من كفارِ قريشٍ.[٢]

المطلب الثاني: بعض الأخلاق المذمومة في الإنسان

يقول تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾

ـ مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن بين الله ـ عز وجل ـ حال الإنسان في هذه الدنيا، وأنه خُلق فيها يكابد النصب والتعب والمشقة، شرع في هذه الآيات بالإخبار عن خلقٍ ذميمٍ في الإنسان وهو اغتراره بقوته، مما حدا بكفار مكة الذين اغتروا بقوتهم أن يعاندوا الحق، ويكذبوا رسول اللَّه ـ صلّى اللَّه عليه وسلّم ـ، وينفقوا أموالهم في المفاسد والشرور، وهو شأن المفتونين المغرورين بمالهم وغناهم؛ فقال عز وجل ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ ﴾".[٣]

ـ القراءات:

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٣٠ ص٣٥١.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ج٩ ص١٦١.

(٣) التفسير المنير للزحيلي ج٣٠ ص٢٤٢.

قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر ﴿ أَيَحْسَبُ ﴾ في الموضعين بفتح السين، وقرأ الباقون بكسرها.[١]

قرأ أبو جعفر وحده ﴿ لُبَّدا ﴾، مشددة الباء مفتوحة، وقرأ الباقون ﴿ لُّبَدًا ﴾ خفيفة الباء[٢].

وقرأ الحسن، وابن أبي الزناد، ومجاهد "لُبُدا" بضمها مخففة[٣]، وقد اتفقوا جميعًا على ضم اللام.

والقراءتان الأوليتان متواترتان، فقراءة أبي جعفر ﴿ لُبَّدا ﴾ بتشديد الباء، جمع "لابدّ" مثل: "ركّع، وراكع".

وقراءة الباقين ﴿ لُّبَدًا ﴾ بتخفيف الباء، جمع "لُبْدَة" مثل: "لُعْبَة، ولعب".[٤]

وأما قراءة الحسن ومجاهد "لُبُدا"، بضم الباء المخففة فهي جمع لُبدة، أو لَبود بفتح اللام مثل صبور، وصُبُر[١]، وهي قراءة شاذة.

---

(١) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة لعبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي ج١ ص٣٤٣، فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات لمحمد إبراهيم محمد سالم ج٤ ص٦٧٧.

(٢) المبسوط في القراءات العشر ص٤٧٣، الكنز في القراءات العشر ج٢ ص٧١٧، تحبير التيسير في القراءات العشر ص٦١٣، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لأحمد بن محمد عبد الغني الدمياطيّ ص٥٨٥، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة لعبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي ص٣٤٣.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ج٥ ص٤٨٤، مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه ص١٧٦، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص٥٨٥.

(٤) الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر لمحمد محمد محمد سالم محيسن ج٣ ص٣٥٥.

والمعنى في هذه القراءات كلها مالًا كثيرًا متلبدًا بعضه فوق بعض من التكاثف والكثرة.[٢]

قرأ الجمهور ﴿ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ ﴾ بضم الهاء، وقرأ الأعمش والكسائي عن أبي بكر عن عاصم: "أَنْ لَمْ يَرَهْ"، بسكون الهاء.[٣]؛ لأنه نوى الوقف عليها.[٤]

. المباحث العربية:

(أ) الإعراب:

﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري، ﴿ يَحْسَبُ ﴾: فعلٌ مضارعٌ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وفاعلهُ ضميرٌ مستترٌ فيه جوازًا تقديره هو يعود على ﴿ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾، والجملةُ جملةٌ إنشائيةٌ لا محل لها من الإعراب، ﴿ أَن ﴾: مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، والتقدير "أنه" ﴿ لَّن ﴾: حرف نفيٍ ونصبٍ واستقبال، ﴿ يَقْدِرَ ﴾: فعلٌ مضارعٌ منصوب بـ ﴿ لَّن ﴾ وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، ﴿ عَلَيْهِ ﴾: متعلق بـ ﴿ يَقْدِرَ ﴾، على حرف جر، والهاء ضميرٌ مبنيٌّ على الكسر في محل جر، والجار والمجرور في محل نصب مفعولٌ به لـ﴿ يَقْدِرَ ﴾، ﴿ أَحَدٌ

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ج٥ ص٤٨٤، القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب لعبد الفتاح القاضي ص٩٣.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ج٥ ص٤٨٤.

(٣) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص١٧٤، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي ج٢ ص٣٦١، شواذ القراءات للكرماني ج٢ ص٣٦١.

(٤) إعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء العكبري ج٢ ص٧١٤.

﴾: فاعلٌ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر لـ ﴿ أَن ﴾ المخففة، وجملة ﴿ أَن ﴾ المخففة في محل النصب سادةٌ مسد مفعولي﴿يَحْسَب﴾.

﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ ﴾: ﴿ يَقُولُ ﴾: فعلٌ مضارعٌ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وفاعله ضميرٌ مستترٌ فيه جوازًا تقديره هو يعود على﴿ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ ، وجملة القول في محل نصب حال من فاعل ﴿يَحْسَب ﴾، أو مستأنفة، ﴿ أَهْلَكْتُ ﴾: فعلٌ وفاعل، أهلك فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ على السكون لاتصاله بتاء الفاعل، والتاء ضميرٌ متصلٌ مبنيٌّ على الضم في محل رفع فاعل، ﴿ مَالًا ﴾: مفعولٌ به منصوبٌ وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة،﴿ لُّبَدًا ﴾: صفةٌ لـ ﴿ مَالًا ﴾ منصوبٌ وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، والجملة الفعلية في محل نصب مقول لـ﴿ يَقُولُ ﴾.

﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري،﴿يَحْسَب﴾: فعلٌ مضارعٌ مرفوعٌ وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وفاعلهُ ضميرٌ مستترٌ فيه جوازًا تقديره هو يعود على﴿ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾، والجملةُ جملةٌ إنشائيةٌ لا محل لها من الإعراب، ﴿ أَن ﴾: مخففةٌ من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، والتقدير "أنه"، ﴿ لَّمْ﴾: حرف نفيٍ وجزمٍ وقلب، ﴿ يَرَهُۥٓ ﴾: ير فعل مضارع مجزوم بـ ﴿ لَّمْ﴾، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، و"الهاء" ضميرٌ مبنيٌّ على الضم في محل نصب مفعولٌ به؛ لأن رأى بَصَرية، ﴿ أَحَدٌ ﴾: فاعلٌ ليرى مرفوعٌ وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر لـ ﴿

أَن ﴾ المخففة، وجملة ﴿ أَن ﴾ المخففة في محل نصب سادةٌ مسد مفعولي ﴿يَحْسَب﴾.

(ب) معاني المفردات:

﴿ أَيَحْسَبُ ﴾: أيظن، والحِسْبانُ: الظَّن؛ يقال: حَسِب يَحْسِب ويَحْسَبُ وحَسَب يَحْسُب حِسْباناً.[١]

﴿ مَالَاَ لُبَّدًا ﴾: مالًا كثيرًا متلبدًا، من تلبد الشيء إذا اجتمع وتراكم بعضه على بعض[٢]، وفي لسان العرب: "ومالٌ لبدٌ: كثيرٌ لا يخاف فناؤه كأنه التبد بعضه على بعض".[٣]

﴿ يَرَهُۥٓ ﴾: أصله: يرأي بوزن يفعل، نقلت حركة الهمزة عين الفعل إلى الراء، ثم حذفت للتخفيف، ثم قُلبت الياء ألفًا لتحركها بعد فتح، ثم حذفت الألف لدخول الجازم، فلم يبق من الفعل إلا فاؤه فوزنه يفه.[٤]

(ج) بعض الصور البلاغية التي اشتملت عليها الآيات الكريمة:

. الاستفهام الإنكاري[٥] "لإنكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه"[١]، في قوله: ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ ﴾، ومثله قوله: ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ ﴾.

---

(١) المخصص لابن سيده ج١ ص٢٦١.

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد ج١ ص٣٠١، مادة: دلب.

(٣) لسان العرب لابن منظور ج٣ ص٣٨٧، فصل اللام.

(٤) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج٣٢ ص٢٧.

(٥) الاستفهام الإنكاري: هو أن يخرج الاستفهام عن معنى الطّلب إلى معنى استنكار وقوع ما هو استفهام عنه في الظاهر، كأن يقول قائد لأحد جنوده المتقاعسين: أتخون وطنك؟ أتضحي بشرفك؟

. الفواصل المتوازية بين كلمة ﴿ كَبَدٍ ﴾ وكلمة ﴿ أَحَدٌ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ ﴾ حيث اتفقت الكلمتان في الوزن وحروف السجع.

. التفسير:

قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥﴾

معنى ﴿ أَيَحْسَبُ﴾: أيظن، والاستفهام فيه للإنكار والتوبيخ، والضمير في ﴿ أَيَحْسَبُ﴾: راجعٌ إلى الإنسان، وقد تقدم أن بعض المفسرين ذكر أنَّ هذه الآية والتي قبلها نزلت في رجلٍ يُقال له أبو الأشدين كان يجعل تحت قدميه الأديم (العكاظي)، ثم يأمر العشرة فيجتذبونه من تحت قدميه، فيتمزق (الأديم)، ولم تزل قدماه، ولم يثبت في هذا نقل صحيح عن الصحابة . رضي الله عنهم . حتى نقول إن هذه الآية نزلت فيه، وحتى لو ثبت فإنَّ معنى الآية عامٌ يشملُ كل من اتصف بما فيها من الاغترارات.

"ومعنى الآية الكريمة: أيظن هذا الإنسان الذي هو في تعبٍ ومشقةٍ طول حياته، أنَّه قد بلغ من القوة والمنعة.. بحيث لا يقدر عليه أحد.

إن كان يتوهم ذلك، فهو في ضلال مبين، لأن الله . تعالى . الذي خلقه، قادرٌ على إهلاكه في لمح البصر، وقادرٌ على أن يسلط عليه من يذله، ويقضى عليه.

ومنه قوله تعالى: ﴿ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ۝١٤٩ ﴾ (الصافات: ١٤٩)، أو ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ (الحجرات: ١٢)، ومن لوازم الاستفهام الإنكاري هذا أن يكون المستفهم عنه غير واقع، أو أن يكون مدّعيه كاذبا. يُنظر علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» للدكتور محمد أحمد قاسم، والدكتور محيي الدين ديب ص٢٩٧.

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج١٥ ص١٥٢.

ويدخل في هذا التوبيخ دخولًا أوليًا، أولئك المشركون الذين اغتروا بقوتهم، فآذوا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه إيذاءً شديدًا".[١]

تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن ـ رحمها الله ـ تعالى: "﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ ﴾؟ فهنا تبدأ المعاناة، بما يشعر به الإنسان في حال قوته وثرائه من غرور يطغيه ويضله فيحسب لأن لن يقدر عليه أحد: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾ (العلق:٦،٧)".

وبلاغة الاستفهام في الآية، تأتي من هذا الطي المتعمد لتحديد نوع الكبد، على مألوف الإيجاز المعهود، وبخاصة في قصار السور من العهد المكي، ثم يفاجأ السامع بظواهر الكبد وعلله وآثاره، في صورة استفهام تقريري، يحمل من الإنكار قدر ما يحمل من التقرير القاطع الحاسم؛ فهنا وقفة عند ﴿ فِي كَبَدٍ ﴾ منكرة، يذهب فيها الظن كل مذهب، يليها الاستفهام المثير: ﴿ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ ﴾؟ و﴿ لَّن ﴾ لتأييد النفي في حساب هذا الإنسان المغتر.

ولا حاجة بنا إلى تحديد مرجع الضمير في ﴿ أَيَحْسَبُ ﴾ بشخص معين، هو من قول أبي الأشد، كان قويًا يُبسط له الأديم العكاظي فيقوم عليه ويقول: "من أولني عنه له كذا" فلا ينزع إلا قطعاً ويبقى موضع قدميه، أو هو قول آخر: الوليد بن المغيرة، وغروره بقوته وجاهه وماله ذائع معروف، فالعبرة هنا بعموم اللفظ لا بخصوص سبب النزول، لو صح أن الآية نزلت في أحد الرجلين.... هو الإنسان بعامة، كما فهم "أبو حيان[٢]" وإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى،

---

(١) ما بين العلامتين من التفسير الوسيط لمحمد سيط طنطاوي ج١٥ ص٤٠٢.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ج١٠ ص٤٨١.

ومع الطغيان تغره قوته فيحسب أن لن يقدر عليه أحد، ويغره ثراؤه فيتشدق مباهيًا مفاخرًا".[١]

قوله: ﴿ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۞ ﴾:

هذه الآية الكريمة فيها ذكرٌ لمقال هذا النوع الجاحد المغرور من بنى آدم، بعد أن ذكر الله ـ عز وجل ـ مساوئ هذا الإنسان في نفسه، أعقبه بذكر مذام أقواله، وهو التفاخر الكاذب والتمدح بإتلاف المال في غير صلاح، وقد كان أهل الجاهلية يتبجحون بإتلاف المال، ويعدونه منقبةً لإيذانه بقلة اكتراث صاحبه به، قال عنترة:

وإذا سكرت فإنني مستهلك ... مالي وعرضي وافر لم يكلم

وإذا صحوت فما أقصر عن ندى ... وكما علمت شمائلي وتكرمي[٢][٣]

والضمير في ﴿ يَقُولُ ﴾ راجع إلى جنس الإنسان، وقد ذكر بعض المفسرين أن هذه الآية الكريمة مع التي قبلها نزلت في أبي الأشدين الذي تقدم ذكره والإشارة إليه وكان يقول "أنفقت مالًا كثيرًا في عداوة محمد، وهو كاذب في قوله"[٤]، فأنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ هذه الآية الكريمة والتي تليها، تكذيبًا له في هذه الدعوى.

وقيل إنَّ الآية نزلت في الوليد بن المغيرة، فإنَّه أنفق مالاً كثيرًا في إفساد أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم.

---

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم لعائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ ج١ ص١٧٩، ١٨٠.

(٢) البيتان قالهما عنترة في معلقته المشهورة، يُنظر ديوانه ص٨٤ ـ ٨٦.

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٣٠ ص٣٥٢، ٣٥٣.

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ج١٢ ص٨٨٧٢.

وقيل إنها نزلت في الحرث بن عامر بن نوفل وكان قد أسلم وأنفق في الصدقات والكفارات، فقال لقد أهلكت مالي منذ تبعت محمدًا فأنزل الله قوله ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ تكذيبا له، أو إشارة إلى أنه أنفقه رياء.[١]

وذكر بعضهم أنَّها نزلت في أبي جهل بن هشام قال: أنفقت مالًا كثيرًا في عداوة محمد ـ صلّى الله عليه وسلم ـ، فلم ينفعني ذلك، وهو أنه ضمن مالًا لمن يقتل محمدًا ـ صلّى الله عليه وسلم، ويقال: أنفق مالًا يوم بدر.[٢]

ولم يثبت في هذا نقلٌ صحيحٌ عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ حتى نقول إنَّ هذه الآية نزلت فيهم أو في أحدهم، وحتى لو ثبت فإنَّ معنى الآية عامٌ يشملُ كل من اتصف بما فيها من الاغترارات، لأنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ومعنى الآية الكريمة: أنَّ هذا الإنسان المغرور بقوته، والمفتون بماله، المتفاخر بما معه من حطام الدنيا يقول على سبيل الالتباهي والتعالي على غيره، ﴿ أَهْلَكْتُ﴾ أي أنفقت ﴿ مَالًا لُّبَدًا ﴾ أي مالًا كثيرًا، وقد روي هذا المعنى عن ابن عباس[٣] ـ رضي الله عنهما، ومجاهد[٤]، وقتادة[١].

---

(١) يُنظر التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي ج٢ ص٤٨٤، لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ج٤ ص٤٣٠.

(٢) تفسير السمرقندي ج٣ ص٤٨٠.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٣٦ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ من طريق عطية العوفي، وهو إسناد مسلسل بالضعفاء، يُنظر تعليق الشيخ أحمد شاكر على رجال الإسناد في تعليقه على تفسير الطبري ج١ ص٢٦٣.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٣٦ عن مجاهد بإسناد صحيح، يُنظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ج٤ ص٦٣٣.

وعبر. سبحانه . عن إنفاق المال هاهنا بالإهلاك لأنَّ الإهلاك أولى بالغرور والطغيان، وأنسب لجو المباهاة والفخر على المقام.[٢]

يقول الدكتور عبد الكريم يونس الخطيب . رحمه الله: "﴿ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا﴾ هكذا يقول الإنسان مباهيًا مفاخرًا بما أنفق من مال... واللبد: الكثير، الذي جمع بعضه إلى بعض، فكان أكداسًا مكدسة..

وفيم أهلك هذا السفيه المغرور هذا المال الكثير؟ أفي ابتناء محمدة، أو اكتساب مكرُمة؟ أو إغاثة ملهوف؟ أو إطعام جائع؟ كلّا.. إنه لا يعرف وجهًا من هذه الوجوه ولا تنضح يده لها بدرهم، من هذا المال الكثير الذي أهلكه.. إنه أهلكه في مباذله، وفى استرضاء شهواته، وإشباع نزواته.. ولهذا فهو مال هالك، ومهلك لمن أنفقه وهذا بعض السرّ في قوله تعالى: ﴿ أَهۡلَكۡتُ﴾ الذي يدل على أنَّ هذا المال ذهب في طريق الضياع والفساد".[٣]

والتنكير في ﴿ مَالٗا ﴾ كالتنكير في: ﴿ لُّبَدًا ﴾، وفي: ﴿ أَحَدٌ﴾، مقصودٌ به إلى الإطلاق والتعميم.[٤]

قوله: ﴿ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ ﴾: الاستفهام في هذه الآية كالاستفهام في قوله:﴿ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ ﴾، للإنكار والتوبيخ، والضمير في ﴿ أَيَحۡسَبُ ﴾: راجعٌ إلى الإنسان، ومعنى الآية الكريمة أيظن هذا الجاهل

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٣٦ عن قتادة من طريق بشر بن معاذ عن يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد ورجاله وبينا أنه إسناد صحيح، ورجاله ثقات.

(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم للدكتورة عائشة عبد الرحمن ج١ ص١٨٠.

(٣) التفسير القرآن للقرآن للدكتور عبد الكريم يونس الخطيب ج١٦ ص١٥٧٢.

(٤) التفسير البياني للقرآن الكريم للدكتورة عائشة عبد الرحمن ج١ ص١٨٠.

المغرور، حين أنفق المال الكثير في المعاصي والسيئات، أن الله ـ تعالى ـ غير مطلع عليه؟ إن كان يظن ذلك فهو في نهاية الجهالة وانطماس البصيرة، لأنَّ الله ـ تعالى ـ مطلعٌ عليه، ولا تخفى عليه خافيةٌ في الأرض ولا في السماء، وسيحاسبه على ذلك حسابًا عسيرًا[١]، وقد وكل الله ـ عز وجل ـ به حفظةً يرون أعماله ويحصونها إلى يوم الجزاء.[٢]

وفي الحديث الشريف: "لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع خصال عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه".[٣]

وقد عدل البيان القرآني في هذه الآية عن ﴿ لَّن ﴾ التي في الاستفهام الأول، إلى ﴿ لَّمْ ﴾ التي تنصرف إلى الماضي فتقرر أنَّ ماضي المغتر محسوبٌ عليه محاطٌ به، بعد أنْ أكد في: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝ ﴾؟ أن مصيره في يد القادر المحيط بما يعمل، لا تخفى عليه خافية.[٤]

---

(١) التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي ج١٥ ص٤٠٣.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ج٥ ص٤٨٤.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج٢٠ ص٦٠، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ج٣ ص٢٢٧، برقم (٣٥٩٣).

(٤) التفسير البياني للقرآن للدكتورة عائشة عبد الرحمن ج١ ص١٠٨.

المطلب الثالث: تعداد نعم الله عز وجل على الإنسان

يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾

. مناسبة الآيات لما قبلها:

لما حكى الله . تبارك وتعالى . في الآيات السابقة بعض طبائع الإنسان المذمومة ومنها ما ذكره . سبحانه . في قوله: ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ ﴾ (البلد: ٥)، أقام في هذه الآيات الدليل على كمال قدرته بخلق الأعين واللسان والشفتين والعقل المميز بين الخير والشر، ومنحه الخيار للإنسان ليثبت ذاتيته، ويتحرر من عبودية أهوائه وشهواته، وليعرف البشر أنه تعالى مصدر لأفضل ما يتمتعون به من البصر والنطق والعقل.[١]

وفي أضواء البيان للشنقيطي: "قوله تعالى: ﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ ﴾ لم يبين أيراه أحد؟ ومن الذي يراه؟، ومعلوم أنه . سبحانه وتعالى . يراه، ولكن جاء الجواب مقرونًا بالدليل والإحصاء في قوله تعالى بعده: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾ (البلد: ٨-١٠)؛ لأنَّ من جعل للإنسان عينين يبصر بهما، ويعلم منه خائنة الأعين، ولسانا ينطق به ويحصي عليه: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨ ﴾ (ق:١٨)، وهداه الطريق، طريق

---

(١) وجه المناسبة مستفاد من مفاتيح الغيب للرازي ج٣١ ص١٦٧، التفسير المنير للزحيلي ج٣٠ ص٢٤٩.

البذل وطريق الإمساك، وإذا كان الأمر كذلك؛ فلن ينفق درهما إلا وهو . سبحانه . يعلمه ويراه".[١]

. المباحث العربية:

(أ) الإعراب:

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ ﴾: الهمزة: للاستفهام التقريري، ﴿ لَّمْ ﴾: حرف نفيٍ وجزمٍ وقلب، ﴿ نَجْعَل ﴾: فعلٌ مضارعٌ مجزومٌ بـ ﴿ لَّمْ ﴾ وعلامة جزمه السكون، ﴿لَّهُۥ﴾: متعلق بـ ﴿ نَجْعَل ﴾، اللام حرف جر لا محل له من الإعراب، والهاء ضميرٌ مبنيٌّ على الضم في محل جر باللام، ونجعل هنا بمعنى نخلق، ﴿ عَيْنَيْنِ﴾: مفعولٌ به منصوبٌ وعلامة نصبه الياء المفتوح ما قبلها المكسور ما بعدها نيابة عن الفتحة لأنه مثنى، والجملة جملةٌ إنشائيةٌ لا محل لها من الإعراب.

﴿ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ ﴾: معطوفان على﴿ عَيْنَيْنِ﴾، ﴿ لِسَانًا﴾: معطوفٌ على﴿ عَيْنَيْنِ ﴾ منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، ﴿ وَشَفَتَيْنِ ﴾: معطوف على﴿ عَيْنَيْنِ﴾ منصوبٌ وعلامة نصبه الياء المفتوح ما قبلها المكسور ما بعدها نيابة عن الفتحة لأنه مثنى.

﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾: الواو: عاطفة، ﴿هَدَيْنَاهُ ﴾: فعلٌ وفاعلٌ ومفعولٌ أول،

هدى فعلٌ ماضٍ مبنيٌ على السكون لاتصاله بنا الفاعلين، و﴿نا ﴾ الفاعلين ضميرٌ متصلٌ مبنيٌّ على السكون في محل رفع فاعل، والهاء ضميرٌ مبنيٌّ

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي ج٨ ص٥٣١.

على الضم في محل نصب مفعولٌ به،﴿ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾: مفعولٌ ثان لـ هدى، منصوبٌ وعلامة نصبه الياء نيابةً عن الفتحة لأنه مثنى، أو منصوبٌ بنزع الخافض، والتقدير: "وَهَدَيْنَاهُ إلى النَّجْدَيْنِ".

(ب) معاني المفردات:

﴿ وَشَفَتَيۡنِ ﴾: مثنى شفة، وشفة الشيء حرفه؛ يقال شفة الدلو، وشفة الجبل، وشفة الإنسان الجزء اللحمي الظاهر الذي يستر الأسنان.[١]، وأصلها شفهة، حذفت منها الهاء، ويدل عليه شفيهة وشفاه وشافهت، وهي مما لا يجوز جمعه بالألف والتاء، وإن كان تاء التأنيث.[٢]

﴿ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾: مثنى نَجْد بفتح فسكون، و "النَّجْد": الطريق في ارتفاع[٣]، ومعنى هديناه النجدين: أي عرفناه الطَّرِيقَيْنِ طَرِيق الْخَيْر وَطَرِيق الشَّرّ.[٤]

(ج): بعض الصور البلاغية التي اشتملت عليها الآيات الكريمة:

الاستفهام التقريري[٥] للتذكير بالنعم في قوله: ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴾.

---

(١) المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار ج١ ص٤٨٨.

(٢) المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لمحمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني ج٢ ص٢١٠، البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ج١٠ ص٤٧٨.

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ص٥٢٨.

(٤) جمهرة اللغة لابن دريد ج١ ص٤٥١، مادة: (ج د ن)، لسان العرب لابن منظور ج٣ ص٤١٦، فصل النون.

(٥) الاستفهام التقريري: حملُ المخاطب على الإقرار بالحكم الذي يعرفه من إثبات كما في: ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ ﴾ (الشرح: ١) ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ ﴾ (الزمر:

قال الدكتور محمد سيد طنطاوي . رحمه الله: "قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ ﴾، والاستفهام هنا للتقرير، لأن الله . تعالى . قد جعل له كل ذلك، ولكنه لم يشكر الله . تعالى . على هذه النعم، بل قابلها بالجحود والبطر؛ أي: لقد جعلنا لهذا الإنسان عينين، يُبصر بهما، وجعلنا له لسانًا ينطق به، وشفتين . وهما الجلدتان اللتان تستران الفم والأسنان . تساعدانه على النطق الواضح السليم".[١]

. الاستعارة التصريحية[٢] في قوله: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾ فقد استعار النجدين للخير والشر، وحذف المشبه؛ وهو الخير والشر، وأبقى المشبه به،

---

٣٦) أو نفي كما في: ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (المائدة: ١١٦). حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك لأبي العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي ج١ ص٦٥.

(١) التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي ج١٥ ص٤٠٣.

(٢) الاستعارة التصريحيّة: هي ما صرّح فيها بلفظ المستعار منه (المشبّه به) وحذف المستعار له (المشبّه)، هي لفظ المشبه به المستعار للمشبه، كقولك: "زارني بحر في منزلي"، فقد شُبه الجواد بالبحر في الإمداد، ثم تنوسي التشبيه، وجُعل المشبه فرد من أفراد المشبه به، ثم استعير لفظ المشبه به وهو "بحر" للمشبه استعارة تصريحية، وسميت بذلك للتصريح فيها بلفظ المشبه به "كما في المثال المذكور".

وهي باعتبار اللفظ المستعار قسمان: أصلية، وتبعية.

فالأصلية: ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس حقيقة، أو تأويلًا.

وسميت أصلية؛ نسبة إلى الأصل بمعنى الكثير الغالب، ولا شك أنها أكثر وجودًا في الكلام من التبعية الآتية بعد، أو نسبة إلى الأصل بمعنى الاستقلال وعدم التبعية لاستعارة أخرى، تعتبر أولا، كما سيأتي في التبعية.

والتبعية: ما كان اللفظ المستعار فيها فعلًا، أو اسمًا مشتقًّا، أو حرفًا، وسميت الاستعارة في الفعل والاسم تبعية؛ لجريانها فيهما تبعًا لجريانها في المصدر. يُنظر علوم البلاغة «البديع

فإن قلت: أما تشبيه الخير بالنجد وهو المرتفع من الطريق، فلا غبار عليه؛ لأنه ظاهر بخلاف الشر، فإنه هبوط وارتكاس من ذروة الفطرة إلى حضيض الابتذال.. قلنا: إنه جمع بينهما إما على سبيل التغليب، وإما على توهم المخيلة أن فيه صعودًا وارتكاسًا وإسفافًا، وهذا من أبلغ الكلام وأروعه.

قال الإمام الطاهر بن عاشور . رحمه الله: "واستعير النجدان للخير والشر، وجعلا نجدين لصعوبة اتباع أحدهما وهو الخير فغلب على الطريقين، أو لأن كل واحد صعبٌ باعتبار، فطريق الخير صعوبته في سلوكه، وطريق الشر صعوبته في عواقبه".[١]

. الفواصل المطرفة[٢] بين كلمات ﴿ عَيۡنَيۡنِ ﴾، ﴿ شفتين ﴾، ﴿ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾ حيث اتفقت هذه الكلمات في حروف السجع لا في الوزن.

. التفسير:

قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ ﴾: استفهامٌ تقريريٌّ للتذكير بالنعم، عن قتادة . رحمه الله . قال: "قوله: ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ ﴾ نِعَمٌ من الله متظاهرةٌ، يقررك بها كيما تشكره".[٣]

والبيان والمعاني» للدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب ص١٩٩، المنهاج الواضح للبلاغة لحامد عوني ج١ ص١٠٨.١١١.

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٣٠ ص٣٥٥.

(٢) أن يتفقا في حروف السجع لا في الوزن. البرهان في علوم القرآن للزركشي ج١ ص٧٦.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٣٧ عن قتادة بإسناد حسن. يُنظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بشير ياسين ج٤ ص٦٣٣.

ومعنى قوله:﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ ﴾: أي ألم نخلق له عينين يُدرك بهما المحسوسات بالنظر، وجعلنا لهما جفونًا وأشفارًا يدفع بهن القذى عن عينيه، ويغضهما بهن عن النظر إلى ما لا يعنيه.[١]

ومعنى قوله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ ﴾ أي: خلقنا له لسانًا ينطق به فيعبر عما في ضميره، وشفتين يستعين بهما على الكلام، وأكل الطعام، وجمالًا لوجهه وفمه.[٢]

قال السجاوندي: "خص الشفة، لخروج أكثر الحروف منها، وفي الدعاء: الحمد لله الذي جعلنا ننطق بلحمٍ ونبصر بشحمٍ ونسمع بعظم، قال بعضهم: أسبل الصانع الحكم أمام الفم سترًا من الشفة ذا طرفين يضمهما عند الحاجة، ويمتص بهما المشروب، وجعل الشارب محيطًا من العليا؛ ليمنع ما على وجه الشراب من القش والقذى أن يدخل حالة الشرب".[٣]

وقرن ـ سبحانه وتعالى ـ «الشفتين» باللسان لأنَّ نعمة العبارة والكلام، لا يصح إلا بالجميع.[٤]

قال الإمام الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله: "وذكر الشفتين مع اللسان لأنَّ الإبانة تحصل بهما معا، فلا ينطق اللسان بدون الشفتين، ولا تنطق الشفتان بدون اللسان.

ومن دقائق القرآن أنه لم يقتصر على اللسان ولا على الشفتين خلاف عادة كلام العرب أن يقتصروا عليه يقولون: ينطق بلسان فصيح، ويقولون: لم

---

(١) تأويلات أهل السنة لمحمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي ج١٠ ص٤٣٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٨ ص٣٩٣.

(٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج٣٢ ص١٥.

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية ج٥ ص٤٨٤.

ينطق ببنت شفة، أو لم ينبس ببنت شفة، لأن المقام مقام استدلال فجيء فيه بماله مزيد تصوير لخلق آلة النطق.

وأعقب ما به اكتساب العلم وما به الإبانة عن المعلومات، بما يرشد الفكر إلى النظر والبحث وذلك قوله: وهديناه النجدين فاستكمل الكلام أصول التعلم والتعليم فإن الإنسان خلق محبًا للمعرفة محبًا للتعريف، فبمشاعر الإدراك يكتسب المشاهدات وهي أصول المعلومات اليقينية، وبالنطق يفيد ما يعلمه لغيره، وبالهدى إلى الخير والشر يميز بين معلوماته ويمحصها".[١]

وقد جعل الله ـ عز وجل ـ للإنسان عينين وأذنين بينما جعل له لسانًا واحدًا فقط، وذلك "لأنَّ حاجة الإنسان إلى السمع والبصر أكثر من حاجته إلى الكلام، وفيه تنبيه أيضًا على أنْ يقل من الكلام إلا في الخير، وأن لا يتكلم فيما لا فائدة فيه، وهو السر في أن الله ـ تعالى ـ جعل اللسان داخل الفم، وجعل دونه الشفتين اللتين لا يمكن الكلام إلا بفتحهما؛ ليستعين العبد بطباق شفتيه".[٢]

قوله عز وجل: ﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠ ﴾: النجدين: مثنى نجد، والنجد: الطريق المرتفع، ومنه قول امرئ القيس:

فَريقانِ مِنهُم جازِعٌ بَطنَ نَخلَةٍ..... وَآخَرُ مِنهُم قاطِعٌ نَجدَ كَبكَبِ [٣]

وقول دريد بن الصمة يرثي أخاه:

---

(١) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٣٥٤.

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج٣٢ ص١٥.

(٣) البيت قاله امرؤ القيس في قصيدة مطلعها: خَليلَيَّ مُرّا بي عَلى أُمِّ جُندَبِ، ينظر ديوانه ص٣١.

ومعنى الجازع القاطع، وبطن نخلة: مكان كان به بستان ابن معمر وهو عبيد الله معمر التيمي القرشي، وكان من أبطال الرجال وسروات قريش، وكان له بلاء حسن في حروب الخوارج، ونجد كبكب: المرتفع من الجبل الأحمر الذي يستدبره الواقفون بعرفات.

كميشُ الإزارِ خارجٌ نصفُ ساقِهِ ... صبورٌ علَى العزَّاءِ طلاَّعُ أنجُدِ.[١]

وسُميت نجد به لارتفاعها عن انخفاض تهامة.

وقد اختلف المفسرون في المراد بالنجدين في الآية الكريمة على قولين:

أحدهما: وهو قول جمهور المفسرين[٢] أنَّ المراد بالنجدين طريقي الخير والشر، والحق والباطل، والهدى والضلالة.[٣]، والسعادة والشقاوة، والطاعة والمعصية، والصواب والخطأ.[٤]، وتكون هذه الآية كقوله سبحانه: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ ﴾.[٥]

---

(١) البيت قاله دريد بن الصمة في رثاء أخيه، يُنظر ديوانه ص٥٧.

ومعنى كميش الثوب: الكميش هو الخفيف السريع الحركة، يقال: انكمش في حاجتك، أي تخفف وأسرع. وأضاف الكميش إلى الإزار على المجاز كما يقال: عفيف الحجزة، ونقي الجيب. وقوله خارجٌ نصف ساقه يصفه بالتشمير.

ومعنى صبور على العزاء: أنه يصبر على النوائب تنزل بساحته، والمصائب تتجدد عليه في ذويه وعشيرته.

والأنجد: جمع نجد وَهُوَ مَا ارْتَفع من الأَرْض. يُنظر شرح ديوان الحماسة لأبي على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني ص٥٨٠ شرح ديوان الحماسة ليحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي ج٢ ص٣٥٤.

(٢) نسب هذه القول إلى الجمهور كل من الإمامين: (الثعلبي في الكشف والبيان ج١٠ ص٢٠٩، والبغوي في معالم التنزيل ج٨ ص٤٣١).

(٣) يُنظر معالم التنزيل للبغوي ج٨ ص٤٣١.

(٤) تفسير السمرقندي ج٣ ص٤٨٠.

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ج١٢ ص٨٢٧٨، الكشف والبيان للثعلبي ج١٠ ص٢٠٩.

عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: ﴿ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾ سبيل الخير والشر.[١]

وعن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: "﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾ الهدى والضلالة".[٢]

وعن مجاهد ـ رحمه الله ـ قال: "قوله: "﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾ سبيل الخير والشرّ".[٣]

وقد أورد الشهاب الخفاجي ـ رحمه الله ـ إشكالًا على هذا المعنى وأجاب عليه فقال: "وصف مكان الخير بالرفعة والنجدية ظاهر بخلاف الشرّ فإنّه هبوطٌ من ذروة الفطرة إلى حضيض الشقوة، فهو على التغليب أو على توهم المتخيلة له صعودًا فتدبر".[٤]

ومعنى ﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾ أي بينا له وعرَّفناه طريق الخير والهدى ليتبعه وطريق الشر والضلالة ليجتنبه.

قال الإمام أبو إسحاق الزجاج ـ رحمه الله ـ:" ﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾، فالمعنى ألم نعرفه طريق الخير وَطَرِيقَ الشرِّ بَيِّنَيْنِ كبيان الطريقين العَالِيَيْنِ".[٥]

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج٩ ص٢٢٥، عن عبد الله بن مسعود بإسناد حسنه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ج٨ ص٧٠٤.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٣٨ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بإسناد حسن. يُنظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بشير ياسين ج٤ ص٦٣٣.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٣٨ عن مجاهد، بإسناد صحيح. يُنظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بشير ياسين ج٤ ص٥٥ ـ ٥٨.

(٤) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ج٨ ص٣٦٢.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٥ ص٣٢٩.

وهذه الهداية وهذا التبيين منةٌ عظيمة من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، كما قال الإمام الألوسي ـ رحمه الله: "والامتنان المحدث عنه (يعني في قوله: ﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾ بأن هداه ـ سبحانه ـ وبيّن له ـ تعالى ـ شأن ما إنْ سلكه نجا وما إنْ سلكه هلك، ولا يتوقف الامتنان على سلوك طريق الخير".[١]

الثاني: أن المراد بالنجدين الثديين، وقد رُوي هذا القول عن ابن عباس من طريق عيسى بن عقال عن أبيه[٢]، كما رُوي عن الضحاك[٣].

ومعنى الآية بناء على ذلك: وهديناه الثَّديين: سبيلي اللبن الذي يتغذّى به، وينبت عليه لحمه وجسمه.[٤]

قال الإمام الفخر الرازي ـ رحمه الله: "ومن قال ذلك (يعني أن المراد بالنجدين الثديين) ذهب إلى أنهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه، والله تعالى هدى الطفل الصغير حتى ارتضعها".[٥]

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ج٣١ ص١٦٨.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٣٩ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بإسناد ضعيف فيه عيسى بن عقال وأبوه، ولم يُذكر فيهما جرح ولا تعديل. يُنظر وكيع بن الجراح ومروياته في التفسير من أول سورة تبارك إلى آخر سورة الناس جمعًا ودراسةً وتخريجًا ص٤٢١، وهي رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، إعداد الباحثة هيفاء بنت صالح بن طاهر بوقس، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٣٩ عن الضحاك بإسناد ضعيف، فيه جويبر بن سعيد أبو القاسم الأزدي البلخي وهو ضعيف جدًا، قال فيه ابن معين: ليس بشيء، وقال الجوزجاني: لا يشتغل به، وقال النسائي والدارقطني وغيرهما: متروك الحديث. يُنظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ج١ ص٤٢٧.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج٢٤ ص٤٣٩.

(٥) مفاتيح الغيب للرازي ج٣١ ص١٦٨.

والراجح من هذين القولين هو القول الأول أن المراد بالنجدين طريقي الخير والشر والهدى والضلال وذلك لأنه كما قال الإمام الطبري ـ رحمه الله: "لا قول في تفسير هذه نعلمه غير القولين المذكورين، والثديان وإن كانا سبيلي اللبن، فإنَّ الله تعالى ذكْره إذ عدّد على العبد نِعَمه بقوله: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ ﴾ (الإنسان:٢،٣) إنما عدّد عليه هدايته إياه إلى سبيل الخير من نعمه، فكذلك قوله: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾".[١]

وقد ذكر الإمام البقاعي ـ رحمه الله ـ نكتةً لطيفة في الحكمة بالتعبير بالمضارع الد بالمضارع الدال على الاستمرار عند ذكر العينين واللسان والشفتين، والتعبير بالماضي عند ذكر النجدين فقال: "ولما كان لله ـ تعالى ـ على كل أحد في كل لمحة منة جديدة في إبقاء هذه الآلات الثلاث، عبر فيها بالمضارع، ولما كانت النعمة في العقل إنما هي بهبته أولًا ثم بحمله به على الخير ثانيًا، وكان أمره خفيًا، وكان من المعلوم أنَّ كل أحد غير مهدي في كل حركاته وسكناته إلى ما يسعده، بل كان هذا المنكر عليه لم يؤهل لطريق الخير، اختير له لفظ الماضي لذلك تحقيقًا لكونه وجعله غريزة لا تتحول وطبيعة لا تتبدل، بل هي غالبة على صاحبها، قائدة إلى مضاره أو محابه ومساره وإن كره، وهو السبب الذي يكون به الخلاص من شر تلك الأنكاد في دار الإسعاد فقال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ﴾ أي بما آتيناه من العقل ﴿ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ أي طريقي الخير والشر، وصار بما جعلناه له من ذلك سميعًا بصيرًا عالمًا فصار موضعًا للتكليف".[٢]

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج٢٤ ص٤٣٩.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ج٢٢ ص٥٧.

المطلب الرابع: تهويل شأن العقبة وبيان كيفية النجاة منها.

يقول تعالى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾.

. مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن بين الله ـ عز وجل ـ في الآيات السابقة بعض النعم الجليلة التي أنعم بها سبحانه ـ على الناس من البصر والنطق، والعقل المميز بين الخير والشر، والنفع والضر، أردف ذلك في هذه الآيات ببيان أنه كان عليهم أن يشكروا تلك النعم، ويختاروا طريق الخير، ويرجحوا سبيل السعادة، فيفيضوا على الناس بشيءٍ مما أفاض به عليهم، وأفضل ذلك أن يعينوا على تحرير الأرقاء من البشر، أو يواسوا الأيتام من أقاربهم حين العوز وعزة الطعام، أو يطعموا المساكين الذين لا وسيلة لهم إلى كسب ما يقيمون به أودهم؛ لضعفهم وعجزهم، ثم هم مع ذلك يكونون صحيحي الإيمان صبورين على أذى الناس، وعلى ما يصيبهم من المكاره في سبيل الدعوة إلى الحق، رحماء بعباده، مواسين لهم حين الشدائد، هذه هي الطريق التي كان من حق العقل أن يُرشد إليها، لكن الإنسان قد خدعه غروره، فلم يقتحم هذه العقبة، ولم يسلك هذه السبيل القويمة، ولم يسر فيما يرشد إليه العقل السليم.[1]

. القراءات:

---

(1) يُنظر حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج٣٢ ص٧، ٨ بتصرف.

قرأ الجمهور ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾، وفي بعض المصاحف "فلا اقتحامَ العقبة" بالألف.[١]

قرأ ابنُ كثير وأبو عمرو والكسائي ﴿ فَكَّ ﴾ بفتح الكاف فعلًا ماضيًا ﴿رقبةً﴾ "رقبةً" بالنصب مفعوله، و﴿ أَطْعَمَ﴾ بفتح الهمزة والميم فعلًا ماضيًا أيضًا، والفعلُ بدلٌ من قوله: ﴿ ٱقْتَحَمَ ﴾، فهو تفسيرٌ وبيانٌ له، كأنه قيل فلا فك إلخ، وقرأ الباقون برفع الكاف ﴿ فَكُّ ﴾ اسما ﴿ رَقَبَةٍ ﴾ بالجر مضافا إليه، و﴿ أَوۡ إِطۡعَٰمٌ ﴾ بكسر الهمزة وألف بعد العين ورفع الميم منونة، و﴿ فَكُّ ﴾ خبرٌ لمبتدأ محذوفٌ، واختلفوا في تقديره فقال بعضهم: إنَّ المبتدأ المحذوف تقديره هو أي هو فك رقبة أو إطعامٌ على معنى الإباحة، وفي الكلام حذف مضاف أي: وما أدراك ما اقتحام العقبة، وهو عتق رقبة، أو إطعام يتيم ذي قرابة، ومسكين ذي فقر في يوم ذي مجاعة.[٢]

وقال آخرون بل تقديره هي يعود إلى العقبة، والمعنى: وما أدراك ما العقبة، وهي فك رقبة أو إطعام.[٣]

قال الحسين بن أحمد بن خالويه: "قوله تعالى: ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٌ ﴾ يُقرئان بالرّفع، لأنهما مصدران، فالأوّل مضاف فحذف التنوين منه لمكان الإضافة، والثاني مفرد، فثبت التنوين فيه لمكان الإفراد.

---

(١) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص١٧٤، شواذ القراءات للكرماني ج٢ ص٥١٤.

(٢) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لأحمد بن محمد بن أحمد الدمياطيّ ص٥٨٥.

(٣) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٣٥٧.

ويقرئان بالفتح، لأنهما فعلان ماضيان، فالحجة لمن جعلهما مصدرين، معناه عنده: فاقتحام العقبة- وهي: الصراط- ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴾، وهي المجاعة- يتيمًا، ثم علق ذلك بشرط الإيمان.

وفي نصب «اليتيم» هاهنا خلف بين النحويين. قال البصريون: المصدر إذا دخله التنوين أو الألف واللام عَمِلَ عَمَلَ الفعل بمعناه، لأنه أصل للفعل، والفعل مشتقٌّ منه، مبنيٌّ للأزمنة الثلاثة فهو يعمل بالمعنى عمل الفعل باللفظ.

وقال الكوفيون: المصدر إذا نُوِّنَ أو دخلت عليه الألف واللام لم يعمل في الأسماء، لأنه قد دخل في جملة الأسماء، وحصل في حيّزها، والاسم لا يعمل في الاسم نصبًا.

فقيل لهم: فبم تنصبون ﴿ يَتِيمًا ﴾ هاهنا؟ فقالوا بمشتقٍ من المصدر، وهو الفعل، ويكون قوله: ﴿مِسۡكِينًا ﴾ معطوفًا على قوله: ﴿ يَتِيمًا ﴾.

والحجة لمن فتحهما: أنه بناهما بناء الفعل الماضي وجعل فاعلهما الْإِنْسانَ، المقدّم ذكره، و «الرقبة» و «اليتيم» منصوبان بتعدّي الفعل إليهما".[١]

قرأ الجمهور ﴿ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴾، "وقرأ الحسن وأبو رجاء: "فِي يَوْمٍ ذِا مَسْغَبَةٍ"[٢]

أما "قراءة الجمهور ذي بالياء فهي نعتٌ ليومٍ مجازًا"[٣]

وأما قراءة الحسن وأبي رجاء وهي قراءة شاذة ففي توجيهها قولان:

---

(١) الحجة في القراءات السبع للحسين بن أحمد بن خالويه ص٣٧٢.

(٢) شواذ القراءات لمحمد بن نصر الكرماني ص٥٠٨، المحتسب لابن جني ج٢ ص٣٦٢.

(٣) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لأحمد بن محمد بن أحمد الدمياطيّ ص٥٨٥.

أحدهما: أنَّ ذا نعت لمفعول محذوف لأطعم، والتقدير شخصًا ذا مسغبة، وعليه يكون يتيمًا بدلًا منه أو نعتًا له.[١]

الثاني: أنه صفة، إلا أنه صفة لموضع الجار والمجرور جميعًا، وذلك أنَّ قوله {فِي يَوْمٍ} ظرفٌ، وهو منصوبُ الموضع، فيكون وصفًا له على معناه دون لفظه، كما جاز أن يُعطف عليه في معناه دون لفظه في قوله:

ألا حي ندماني عمير بن عامر ... إذا ما تلاقينا من اليوم أوغدا[٢]

حتى كأنه قال: اليوم، أو غدا.[٣]

. المباحث العربية:

(أ) الإعراب:

﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ ﴾: ﴿ فَلَا ﴾: الفاء: عاطفة، و"لا": نافيةٌ بمعنى: ما، ﴿ٱقۡتَحَمَ﴾ فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ على الفتح لا محل له من الإعراب، وفاعله ضميرٌ مستترٌ فيه جوازًا تقديره هو يعود على﴿ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾ القائل، والجملة معطوفة على ﴿هَدَيۡنَاهُ هـ ﴾؛ أي: وهديناه النجدين فما اقتحم العقبة، و﴿ ٱلۡعَقَبَةَ ﴾: مفعولٌ به منصوبٌ وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وقيل {لا}: دعائية، دعا عليه أن لا يفعل خيرًا، وقيل: {لا} تحضيضية، والأصل: فألا اقتحم العقبة، ثم حُذفت الهمزة للتخفيف، وهذا القول ضعيف.

---

(١) القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب لعبد الفتاح القاضي ص٩٣.

(٢) البيت قاله كعب بن جعيل، وهو من الشواهد التي يُستشهد بها على العطف على المحل، فإنه نصب (غدًا) وعطفه على موضع (من اليوم) كأنه قال: تلاقينا اليوم أو غدًا. يُنظر الكتاب لسيبويه ج١ ص٦٨، شرح أبيات سيبويه ليوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبي محمد السيرافي ج١ ص٢٣٣.

(٣) المحتسب لابن جني ج٢ ص٣٦٢.

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾: ﴿ وَمَآ ﴾ {الواو}: اعتراضية ﴿ مَا ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، ﴿ أَدۡرَىٰكَ ﴾: أدرى: فعلٌ ماضٍ مبنيٌ على الفتح المقدر على الألف للتعذر لا محل له من الإعراب، وفاعله ضميرٌ مستترٌ فيه وجوبًا تقديره: "أنت"، و{الكاف} ضميرٌ متصلٌ مبنيٌ على الفتح في محل نصب مفعولٌ أول لأدرى، وجملة أدراك في محل رفع خبر عن ﴿ مَا ﴾ الاستفهامية، ﴿مَا﴾: اسم استفهام مبنيٌّ على السكون في محل رفع مبتدأ، ﴿ ٱلۡعَقَبَةُ ﴾: خبر ما الاستفهامية مرفوعٌ وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والجملة الاسمية المعلقة بالاستفهام في محل نصب سدّت مسدّ مفعول ﴿ أَدۡرَىٰكَ ﴾ الثاني، وجملة: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾ اعتراضيّة لا محل لها من الإعراب، أو حالية من العقبة في قوله﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾.

﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ ﴾: ﴿ فَكُّ ﴾: مضاف، و﴿ رَقَبَةٍ ﴾: مضافٌ إليه مجرورٌ وعلامة جره الكسرة الظاهرة، و﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾: خبرٌ لمبتدأٍ محذوف تقديره: هو ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾، كأنه قيل: وما هو: اقتحام العقبة، فقيل: هو فك رقبة أو إطعام ... إلخ، والجملة مفسرة لاقتحام العقبة لا محل لها من الإعراب.

﴿ أَوۡ إِطۡعَٰمٌ فِي يَوۡمٍ ذِي مَسۡغَبَةٍ ﴿١٤﴾ ﴾: ﴿ أَوۡ﴾: حرف عطف، ﴿ إِطۡعَٰمٌ ﴾ معطوفٌ على﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾، ﴿ فِي يَوۡمٍ ﴾؛ ﴿ فِي ﴾: حرف جر، و﴿ يَوۡمٍ ﴾: اسمٌ مجرورٌ بفي وعلامة جره الكسرة الظاهرة،و﴿ فِي يَوۡمٍ ﴾: متعلقان بـ﴿ إِطۡعَٰمٌ ﴾،﴿ ذِي ﴾: صفة لـ ﴿ يَوۡمٍ ﴾ مضاف، ﴿ مَسۡغَبَةٍ ﴾: مضافٌ إليه مجرورٌ وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾: ﴿ يَتِيمًا ﴾: مفعولٌ به لـ ﴿ إِطْعَٰمٌ ﴾ منصوبٌ وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، ﴿ ذَا ﴾: صفةٌ لـ ﴿ يَتِيمًا ﴾ مضاف، ﴿ مَقْرَبَةٍ ﴾: مضافٌ إليه.

﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾: ﴿ أَوْ ﴾: حرف عطف، ﴿ مِسْكِينًا ﴾: معطوفٌ على ﴿ يَتِيمًا ﴾ منصوبٌ وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، ﴿ ذَا ﴾: صفة لـ ﴿ مِسْكِينًا ﴾ مضاف، ﴿ مَتْرَبَةٍ ﴾: مضافٌ إليه.

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾: ﴿ ثُمَّ ﴾: حرف عطفٍ وتراخ، ﴿ كَانَ ﴾: فعلٌ ماض ناقصٌ مبنيٌّ على الفتح الظاهر على آخره، واسمها ضميرٌ مستتر يعود على الإنسان المذكور، ﴿ مِنَ ﴾: حرف جر، ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾: اسم موصول مبنيٌّ على الفتح في محل جر، والجار والمجرور في محل رفع خبر ﴿ كَانَ ﴾، ﴿ ءَامَنُواْ ﴾: فعل ماض مبنيٌّ على الضم لاتصاله بواو الجماعة، وواو الجماعة ضميرٌ متصلٌ مبنيٌّ على السكون في محل رفع فاعل، والجملة من الفعل والفاعل صلة الموصول، لا محل لها من الإعراب، ﴿ وَتَوَاصَوْاْ ﴾: الواو عاطفة، و "تواصى" فعلٌ ماضٍ مبنيٌ على الضم المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين لاتصاله بواو الجماعة، وواو الجماعة ضميرٌ متصلٌ مبنيٌّ على السكون في محل رفع فاعل، والألف الفارقة لا محل لها من الإعراب، والجملة من الفعل والفاعل معطوفة على جملة الصلة ﴿ ءَامَنُواْ ﴾ داخلةٌ في حيزها لا محل لها من الإعراب، ﴿ بِٱلصَّبْرِ ﴾: الباء حرف جر، والصبر اسم مجرور بالباء، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجار والمجرور متعلقان بـ: تواصوا، ﴿ وَتَوَاصَوْاْ ﴾: معطوفة أيضًا على

جملة ﴿ ءَامَنُواْ ﴾وقد سبق إعرابها، ﴿ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾: الباء حرف جر، والمرحمة اسم مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة، متعلق بـ {تواصوا}.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾: اسم إشارة مبنيٌّ على الكسر في محل رفع مبتدأ، ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾: أصحاب مضاف، الميمنة: مضافٌ إليه، والجملة من المضاف والمضاف إليه في محل رفع خبر المبتدأ، وجملة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾: مستأنفةٌ استئنافًا بيانيًا.

(ب) معاني المفردات:

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ﴾: الاقتحام الدخول في الشيء، والمجاوزة له بشدةٍ وصعوبةٍ، وفي القاموس: "قَحَمَ في الأمْرِ، كَنَصَرَ، قُحوماً: رَمَى بنفسِه فيه فَجْأَةً بِلا رَوِيَّةٍ، وقَحَّمَهُ تَقْحِيماً، وأقْحَمْتُه فانْقَحَمَ واقْتَحَمَ"[١]، وفي تهذيب اللغة: "والاقتحام الدخول في الأمر الشديد، وهو المهالك، ويقال قَحمَ يَقْحَمُ قُحُومًا، واقتحم اقتحامًا، وتقحم تقحُمًّا، إذا ركب القحم، وهي المهالك، والأمور العِظام".[٢]

﴿ ٱلْعَقَبَةَ ﴾: الطريق الوعر في الجبل[٣]، وفي تاج العروس: "العَقَبَة بالتَّحْرِيك: مرقًى صَعْبٌ من الجبَالِ، أَو الجَبَلُ الطَّوِيلُ يعرِضُ للطَّرِيقِ فيأْخُذُ فِيهِ وَهُوَ طَوِيل صَعْبٌ شَدِيدٌ".[٤]

﴿ فَكُّ ﴾: "مصدرٌ للفعل الثلاثي فكَّ من باب نصر، وزنه فَعْل بفتح فسكون"[١]، والفكُّ في الأصل: الفرق بين الشيئين بإزالة أحدهما عن الاخر، كفك القيد

---

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادي ص١١٤٦، فصل: القاف.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ج٤ ص٤٩.

(٣) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني ج٧ ص٤٦٤٨.

(٤) تاج العروس للزبيدي ج٣ ص٤٠٣، مادة: عقب.

والغل، "وكل شَيْء أطلقته من رِبَاط أَو إسار فقد فككته، و﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ أَي إِطْلَاقهَا من الرّقّ بِالْعِتْقِ".[٢]

﴿ مَسۡغَبَةٖ ﴾: "مصدرٌ ميميٌ من الثلاثي سَغِبَ باب فَرِحَ بزيادة التاء للمبالغة أو باب نَصَرَ"[٣]، والسَّغَبُ": الجوع؛ و"الساغِب": الجائع، يقال: سَغِب الرجل يَسْغَب سَغَبًا وسُغوبًا؛ إذا جاع، والمسغبة المجاعة. [٤]

﴿ مَقۡرَبَةٖ ﴾: المقربة: "القرابة في النسب"[٥]، "يُقَال: فلانٌ ذُو قَرَابَتِي وَذُو قَرَابَةٍ منِّي، وَذُو مَقْرَبَةٍ، وَذُو قُرْبَى منّي"[٦]، ومقربة "مصدرٌ ميميٌ من الثلاثي قَرَبَ من باب كَرَمَ".[٧]

﴿ مَتۡرَبَةٖ﴾: مصدرٌ ميميّ من الفعل الثلاثي "تربَ"، من باب "فَرِحَ"[٨]، ومعناه: الفقر؛ يقال تَرِبَ الرجل إذا افتقر، كأنه لصق بالتراب"[٩]، وفي مختار الصحاح: " تَرِبَ الشَّيْءُ؛ أَصَابَهُ التُّرَابُ وَبَابُهُ طَرِبَ، وَمِنْهُ تَرِبَ الرَّجُلُ، أَيِ افْتَقَرَ، كَأَنَّهُ لَصِقَ بِالتُّرَابِ، وَ "تَرِبَتْ يَدَاهُ" دُعَاءٌ عَلَيْهِ أَيْ لَا أَصَابَ خَيْرًا، وَ "تَرَّبَهُ تَتْرِيبًا فَتَتَرَّبَ" أَيْ لَطَّخَهُ بِالتُّرَابِ فَتَلَطَّخَ، وَ "أَتْرَبَهُ" جَعَلَ عَلَيْهِ التُّرَابَ، وَأَتْرَبَ الرَّجُلُ

---

(١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه لمحمود صافي ص٣٣٥.

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد ج١ ص١٦١.

(٣) ما بين العلامتين من الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه لمحمود صافي ص٣٣٥.

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ص٥٢٨.

(٥) الكليات لأبي البقاء الكفوي ص٨٨٠.

(٦) تاج العروس للزبيدي ج٤ ص٨.

(٧) ما بين العلامتين من الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه لمحمود صافي ص٣٣٥.

(٨) ما بين العلامتين من الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه لمحمود صافي ص٣٣٥.

(٩) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص١٦٥، باب ترب.

اسْتَغْنَى كَأَنَّهُ صَارَ لَهُ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ التُّرَابِ، وَ "الْمَتْرَبَةُ" الْمَسْكَنَةُ وَالْفَاقَةُ، وَمِسْكِينٌ ذُو مَتْرَبَةٍ أَيْ لَاصِقٌ (بِالتُّرَابِ)".[١]

﴿ وَتَوَاصَوْاْ ﴾: يقال: "تَوَاصَى القومُ: إذا أَوْصَى بعضُهم إلى بعض، "والوَصِيَّةُ: التّقدّمُ إلى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ من قولهم: أرض وَاصِيَةٌ: متّصلة النّبات.[٢]

وأصل تواصوا: تواصَيُوا بوزن: تفاعلوا، قُلبت الياء ألفًا لتحركها بعد فتح، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين.[٣]

﴿ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾: المرحمة: مصدرٌ ميميٌّ بمعنى الرحمة[٤]، "مشتق من الفعل الثلاثي "رَحِمَ"، من باب "فَرِحَ"[٥]

﴿ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ : اليمن. وقوله عز وجل: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ ، أي أصحاب اليمن على أنفسهم أي كانوا ميامين على أنفسهم غير مشائيم، وجمع الميمنة ميامن، واليمين: يمين الإنسان وغيره"[٦]، قيل: إنما قيل لهم أصحاب

---

(١) مختار الصحاح لزين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ص٤٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٨٧٤، باب وصى.

(٣) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج٣٢ ص٢٨.

(٤) التبيان في تفسير غريب القرآن لأحمد بن محمد بن عماد أبي العباس، شهاب الدين، ابن الهائم ص٣٤٥.

(٥) ما بين العلامتين من الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه لمحمود صافي ص٣٣٥.

(٦) لسان العرب لابن منظور ج١٣ ص٤٥٨، فصل الياء المثناة تحتها.

الميمنة ليُمنهم، وقيل: لأخذهم كتبهم بأيمانهم، وقيل: لأنه أُخذ بهم ذات اليمين.[١]

(ج) بعض الصور البلاغية التي اشتملت عليها الآيات الكريمة:

. الاستعارة التصريحية التبعية المرشحة[٢] في قوله: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾ فقد رشح بذكر ما يلائم الاستعارة الأولى أعني النجدين بمعنى الطريقين؛ لأن مبنى الترشيح وهو ذكر ما يلائم المشبه دون المشبه به على المبالغة، وادعاء اتحاد الطرفين، ولهذا كان الترشيح أبلغ من التجريد؛ وهو ذكر ما يلائم المشبه به؛ لأن فيه اعترافًا بالتشبيه، فأصل العقبة الطريق الوعر في الجبل، واستعيرت هنا للأعمال الصالحة؛ لأنها تصعب وتشق على النفوس، ففيه استعارة تبعية.

. الاستفهام للتهويل والتعظيم في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ ﴾ (البلد:١٢)؛ لأن الغرض تفخيم شأنها، والتهويل من أمرها، والتشويق إلى معرفتها.[٣]

---

(١) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني ج١١ ص٧٣٧٩.

(٢) الاستعارة المرشحة: هي التي قُرنت بما يلائم المستعار منه؛ كقوله:

ينازعني ردائي عبد عمرو ... رويدك يا أخا عمرو بن بكر

لي الشطر الذي ملكت يميني ... ودونك فاعتجر منه بشطر

فإنه استعار الرداء للسيف لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه، ووصفه بالاعتجار الذي هو وصف الرداء، فنظر إلى المستعار منه. ينظر بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي ج٣ ص٥٠٧،٥٠٨.

(٣) التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي ج١٥ ص٤٠٥.

. الاستعارة التصريحية الأصلية في قوله: ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ ﴾؛ لأن الفك حقيقة في الفصل بين الشيئين المجتمعين الملتئمين، فاستُعير هنا لتحرير الرقبة وعتقها؛ لما فيه من الفصل بين الرق والرقيق.

. المجاز المرسل[١] في لفظ ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ ﴾؛ لما فيه من إطلاق الجزء وإرادة الكل؛ لأن الرقبة في الأصل العضو بين الكتف والرأس.

. الجناس الناقص[٢] بين ﴿ مَقْرَبَةٍ ﴾ و ﴿ مَتْرَبَةٍ ﴾ ؛ لاختلاف بعض الحروف.

. الفواصل المتوازية بين كلمات ﴿ مَسْغَبَةٍ ﴾، و ﴿ مَقْرَبَةٍ ﴾، و ﴿ مَتْرَبَةٍ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ حيث اتفقت الكلمات في الوزن وحرف السجع وهو الباء.

. الموازنة[١] بين كلمة "المرحمة"، وكلمة ﴿ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ حيث تساوت الكلمتين في الوزن دون التقفية.

---

(١) المجاز المرسل: المجاز الذي تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقيّ والمعنى المجازي الذي استعمل اللفظ للدلالة به عليه أمرًا غير المشابهة، أو قائمًا على التوسع في اللّغة دون ضابطٍ معيّن، وسُمِّيَ "مجازاً مُرْسلاً" لكونه مرسلًا عن التقييد بعلاقة المشابهة. البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي ج٢ ص٢٧١.

(٢) تقدم تعريف الجناس، وهو ينقسم إلى قسمين: جناس تام: وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أشياء، نوع الحروف، وعددها، وهيئاتها الحاصلة من الحركات والسكنات، وترتيبها مع اختلاف المعنى، وجناس غير تام: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من الأربعة السابقة (ويجب ألا يكون بأكثر من حرف). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ج١ ص٣٢٦.

. التفسير:

قوله تعالى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾: الفاء للتفريع على ما تقدم، والمقصود بهذه الآية الحض على فعل الخير بدل الشر.[٢]

ولا نافية دخلت على الفعل الماضي "اقتحم"، ولم تُذكر سوى مرةٍ واحدة، ولهذا استشكل المفسرون وأهل اللغة عدم تكرارها لأنهم يقولون: إنَّ لا إذا دخلت على الماضي يلزم تكرارها، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ ﴾ (القيامة: ٣١)، وكما في قول الحطيئة:

وإن كانتِ النُّعمى عليهم جَزَوْا بها ... وإنْ أنْعموا لا كدَّرُوها ولا كَدُّوا[٣]

وقد أُجيب على هذا الاستشكال بعدة أجوبة:

الأول: أنَّ اللازم في مثل ذلك هو تكرار لا لفظًا أو معنىً، وهي هنا مكررةٌ معنى لأنَّ تفسير العقبة بما فُسرت به من الأمور المتعددة يلزم منه تفسير الاقتحام فيكون: فلا اقتحم العقبة في معنى فلا فك رقبة ولا أطعم يتيمًا.[٤]

---

(١) الموازنة نوع من أنواع البديع اللفظي يقع في النثر والنظم: وهي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية، نحو قوله تعالى: وَنَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرابِيُّ مَبْثُوثَةٌ، فلفظا «مصفوفة ومبثوثة» متساويان في الوزن لا في التقفية، لأن الأول على الفاء والثاني على الثاء، ولا عبرة. يُنظر علم البديع لعبد العزيز عتيق ص٢٣٩.

لتاء التأنيث لما هو معروف في علم القوافي.

(٢) التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي ج١٥ ص٤٠٤.

(٣) يُنظر ديوان الحطيئة ص٤٠.

ومعنى: " لا كدَّرُوها ولا كَدُّوا": أي لا يكدرونها بالمطل عليه، ولا بالكد والإلحاح، وأراد الشاعر: إن كانت لقومهم عندهم أيادٍ كافؤوا بها، وإن كانت لهم لم يطلبوا ثوابها.

(٤) روح المعاني للألوسي ج١٥ ص٣٥٥.

الثاني: وهو نفس الجواب الأول، إلا أن القائلين به ذكروا موضعًا آخر في السورة الكريمة يصلح أن يكون قائمًا مقام التكرير وهو قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ ، وهو قول الزجاج ـ رحمه الله ـ حيث قال: "وقوله: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾ ولم يذكر "لا" إلا مَرةً وَاحِدَةً، وقلما يتكلم العرب في مثل هذا المكان إلا بلا مَرتين أو أكثر، لا تكاد تقول: لا حَيَّتَني تريد مَا حَيَّيْتَنِي، فإن قلت: لا حَيَّتَني ولا زُرْتَني صَلَح، والمعنى في ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ موجود أن "لا" ثانية كأنَّها في الكلام لأنَّ قوله: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ تدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا آمن".[١]

قال الإمام الزمخشري ـ رحمه الله: "فإن قلت: قلما تقع «إلا» الداخلة على الماضي إلا مكررة، فما لها لم تكرر في الكلام الأفصح؟ قلت: هي متكررة في المعنى، لأن معنى ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ فلا فك رقبة، ولا أطعم مسكينًا، ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك، وقال الزجاج قوله: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ يدل على معنى: فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ، ولا آمن".[٢]

الثالث: وهو قول المبرد وأبي علي الفارسي: إن «لا» هنا بمعنى لم، أي: فلم يقتحم العقبة، ولهذا لم يحتج إلى التكرير، ومنه قول زهير:

وكانَ طَوَى كَشْحًا على مُستكِنةٍ ... فَلا هُوَ أبْداها وَلم يَتَقَدّمِ[٣]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٥ ص٣٢٩.

(٢) الكشاف للزمخشري ج٤ ص٧٥٦.

(٣) البيت قاله زهير بن أبي سلمى في معلقته، يُنظر ص٦٨.

أي: فلم يبدها ولم يتقدم.[١]

قال وهو قول أبي علي الفارسي: ومعنى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ لم يقتحمها، وإذا كانت "لا" بمعنى لم، لم يلزم تكريرها، كما لم يلزم التكرير مع لم، فإن تكررت في موضع نحو: فلا صدق ولا صلى [القيامة/ ٣١] فهو كتكرّر لم يسرفوا ولم يقتروا [الفرقان: ٦٧] [٢]

الرابع: أن الآية الكريمة تحضيض على اقتحام العقبة، وألا في الآية بمعنى ألا التحضيضية، والمعنى: فألا أقتحم العقبة، أو فهلا أقتحم العقبة.[٣]

وقد تعقب هذا القول الإمام أبو حيان ـ رحمه الله ـ حيث قال: "وقيل: هو تحضيض بألا، ولا نعرف أن لا وحدها تكون للتحضيض، وليس معها الهمزة".[٤]

الخامس: أن لا في الآية الكريمة دعائية، كقوله: لا نجا ولا سلم، وقوله عز وجل: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ جار مجرى الدعاء عليه ألا يفعل خيرا.[٥]

والكشح منقطع الأضلاع، والكاشح: العدو المضمر العداوة في كشحه، وقيل هو من قولهم كشح يكشح كشحا إذا أدبر، وولى، فسمي العدو كاشحا لإعراض قلبه عن الود. يقال طوى كشحه على كذا: أي أضمره في صدره، والاستكنان طلب الكن، والاستكنان الاستتار ومعنى البيت: وكان طوى الكشح على فَعْلةٍ أكنها في نفسه، فلم يظهرها ويروى ولم يتجمجم أي ولم يدع التقدم على ما أضمر. يُنظر شرح المعلقات التسع ص٢٠٤.

(١) فتح القدير للشوكاني ج٥ ص٥٤١.

(٢) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ج٦ ص٤١٤،٤١٥.

(٣) يُنظر المحرر الوجيز لابن عطية ج٥ ص٤٨٥، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ج٢ ص٤٨٤.

(٤) البحر المحيط لأبي حيان ج١٠ ص٤٨٢.

(٥) المرجع السابق بتصرف.

السادس: أن قوله: ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴾ استفهام حُذف منه أداته، وهو استفهام إنكار، والمعنى: أنه يدعي إهلاك مالٍ كثيرٍ في الفساد من ميسر وخمر ونحو ذلك أفلا أهلكه في القرب والفضائل بفك الرقاب وإطعام المساكين في زمن المجاعة فإن الإنفاق في ذلك لا يخفى على الناس خلافا لما يدعيه من إنفاق.[١]

﴿ ٱقۡتَحَمَ ﴾: من الاقتحام للشيء، بمعنى دخوله بشدة، يقال: اقتحم الجنود أرض العدو، إذا دخلوها بقوة وسرعة، وبدون مبالاة بارتكاب المخاطر.[٢]

﴿ ٱلۡعَقَبَةَ ﴾ في الأصل: الطريق الوعر في الجبل، وقد اختلف المفسرون في تفسير العقبة على في الآية الكريمة على وجهين:

أحدهما: وهو قول جماعة من السلف أنَّ هذه العقبة في الآخرة، فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنها جبلٌ من جهنم.[٣]، وعن قتادة ـ رحمه الله ـ قال: قال: للنار عقبة دون الجسر.[٤]

وعن الحسن قال: هي عَقَبةٌ في جهنم.[١]، وعن كعب الأحبار قال: هي سبعون درجة في جهنم.[٢]

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٣٠ ص٣٥٥،٣٥٦.

(٢) التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي ج١٥ ص٤٠٤.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٤٠، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ بإسناد ضعيف، فيه عمر بن إسماعيل بن مجالد كذبه ابن معين، وقال النسائي والدارقطني: متروك. (يُنظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ج٣ ص١٨٢)، وفيه عطية العوفي وهو ضعيف الحديث. (يُنظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج٥ ص٣٢٥).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٤٠، عن قتادة بإسناد حسن، يُنظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ج٤ ص٦٣٣.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٤٠ عن الحسن بإسناد صحيح، فالراوي عن الحسن هو أبو رجاء محمد بن سيف وهو ثقة، وثقه يحيى بن معين والنسائي وغيرهما (يُنظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي ج٢٥ ص٣٥٥)، والراوي عن أبي رجاء هو شعبة بن الحجاج وهو إِمَامٌ، حَافِظٌ، أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ فِي الحَدِيْثِ (يُنظر سير أعلام النبلاء ج٧ ص٢٠٢)، وعن شعبة روى يحيى بن كثير بن درهم البصري، وكان ثقةً صاحب حديث. (يُنظر تاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٢٢٥)، وعن يحيى بن كثير روى محمد بن المثنى وكان ثقةً ثبتًا، احتج سائر الأئمة بحديثه. (يُنظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٤ ص٤٥٨، ترجمة رقم (١٦٣٨)).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٤٠ عن كعب الأحبار بإسناد حسن، ورجاله ثقات، فالراوي عن كعب هو حنش بن عبد الله السبائي وهو ثقة وثقه العجلي وأبو زرعة. (ينظر تاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص١٠٨٦)، وعن حنش روى شعيب بن زرعة، ذكره ابن حبان في الثقات ج٤ ص٣٥٦، رقم ٣٣٢٣، والراوي عن شعيب هو يزيد بن أبي حبيب وهو إمام محدث (يُنظر سير أعلام النبلاء ج١٢ ص١٠١)، والراوي عن يزيد يحيى بن أبي حبيب؛ قال عنه أحمد بن حنبل: سيء الحفظ، وهو دون حيوة وسعيد بن أبي أيوب في الحديث، وقال ابن معين: صالح، وقال مرة: ثقة، وقال أبو حاتم: محله الصدق، يُكتب حديثه ولا يحتج به، وقال أبو عبيد الآجري: قلت لأبي داود هو ثقة؟ فقال: هو صالح. (ينظر التَّكْميل في الجَرْح والتَّعْدِيل ومَعْرِفة الثِّقَات والضُّعفاء والمجَاهِيل لابن كثير ج٢ ص١٦٧)، وعن يحيى حدث جرير بن حازم وهو ثقة، يقول الذهبي في تاريخ الإسلام ج٤ ص٣٢٠: (قُلْتُ: قَدْ وَثَّقَهُ النَّاسُ، وَلَكِنَّهُ تَغَيَّرَ قَبْلَ مَوْتِهِ، فَحَجَبَهُ ابْنُهُ وَهْبٌ، فَمَا سَمِعَ مِنْهُ أَحَدٌ فِي اخْتِلاطِهِ، وَلَهُ أَحَادِيثُ يَنْفَرِدُ بِهَا فِيهَا نَكَارَةٌ وَغَرَابَةٌ، وَلِهَذَا يَقُولُ فِيهِ الْبُخَارِيُّ: رُبَّمَا يَهِمُ، وَقَالَ ابْنُ مَعِينٍ: هُوَ فِي قَتَادَةَ ضَعِيفٌ)، وعن جرير حدث ابنه وهب وهو حافظ صدوق إمام (ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج٩ ص٤٤٢)، وعن وهب حدث محمد بن بشار بندار وهو ثقة كثير الحديث. (ينظر تاريخ الإسلام للذهبي ج٦ ص١٦٥)، وعن محمد بن بشار روى الطبري ـ رحمه الله.

وقال الضحاك، ومجاهد: هي الصراط يضرب على جهنم[١]
وهو معنى قول أبي صالح: عقبة بين الجنة والنار.[٢]
الثاني: وهو قول بعض المفسرين: أنَّ ذكر العقبة هاهنا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والشيطان في أعمال البر، وهو قول الحسن ومقاتل[٣]، قال الحسن عقبة الله شديدة وهي مجاهدة
الإنسان نفسه وهواه وعدوه من شياطين الإنس والجن.[٤]
وبناء على هذا القول تكون العقبة في الدنيا وليست في الآخرة، وهو قول مجاهد ـ رحمه الله.[٥]
والذي أميل إليه من هذين القولين هو القول الثاني وذلك لما يلي:
أولًا: أنَّ تفسير العقبة بأنها في الآخرة تفسير فيه نظر لأنَّ من المعلوم أن بني هذا الإنسان وغيره لم يقتحموا عقبة جهنم ولا جاوزوها فحمل الآية عليه يكون إيضاحًا للواضحات.[٦]
ثانيًا: أنه لم يصح في تفسير العقبة بالوجه الأول روايةٌ مرفوعة إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم.[٧]

---

(١) ذكر هذا القول عن مجاهد والضحاك الإمام الواحدي في التفسير البسيط ج٢٤ ص٢٥ ولم أقف عليه في كتب التفسير المسندة.
(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور ج٨ ص٥٢٣، وعزاه لابن المنذر.
(٣) يُنظر تفسير مقاتل بن سليمان ج٤ ص٧٠٢.
(٤) يُنظر مفاتيح الغيب للرازي ج٣١ ص١٦٨.
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ (البلد) ج٤ ص١٨٨٦ عن مجاهد تعليقًا.
(٦) المرجع السابق.
(٧) يُنظر روح المعاني للألوسي ج١٥ ص٣٥٣ بتصرف.

ثالثًا: أن الآيات الكريمة ذكرت أن العقبة إنما يجتازها من جاهد نفسه وأتى بأعمال البر وعلى رأسها فك الرقاب وإطعام الطعام، وذلك مما يقوي قول من قال بأن ذكر العقبة مثلٌ ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر.

قال الإمام الرازي ـ رحمه الله ـ معقبًا على هذا التفسير الذي أميل إليه: "وأقول هذا التفسير هو الحق لأن الإنسان يريد أن يترقى من عالم الحس والخيال إلى يفاع عالم الأنوار الإلهية ولا شك أن بينه وبينها عقبات سامية دونها صواعق حامية، ومجاوزتها صعبة والترقي إليها شديد".(١)

وقد اختار الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ هذا القول، وذكر الإمام ابن العربي سبب اختياره له

فقال: "اختار البخاري من هذا التقسيم قول مجاهد: إنه لم يقتحم العقبة في الدنيا؛ وإنما اختار ذلك؛ لأنه قال بعد ذلك في الآية الثالثة: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢﴾ (البلد: ١٢).

ثم قال في الآية الرابعة: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ (البلد: ١٣)، وفي الآية الخامسة: ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٌ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤﴾ (البلد: ١٤)، ثم قال في الآية السادسة: ﴿يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ﴾ (البلد: ١٥)، ثم قال في الآية السابعة: ﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾ (البلد: ١٦)، فهذه الأعمال إنما تكون في الدنيا، والمعنى فلم يأت في الدنيا بما يسهل له سلوك العقبة في الآخرة".(٢)

---

(١) مفاتيح الغيب ج٣١ ص١٦٨.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ج٤ ص٤٠٠.

وقوله: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ ﴾: جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب، أو حال من العقبة في قوله: ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾ للتنويه بها وأنها لأهميتها يسأل عنها المخاطب هل أعلمه معلم ما هي، أي لم يقتحم العقبة في حال جدارتها بأن تُقتحم، وهذا التنويه يفيد التشويق إلى معرفة المراد من العقبة.

وما الأولى استفهام، وما الثانية مثلها، والخطاب في ما أدراك لغير معين لأن هذا بمنزلة المثل.[١]

وقد اختلف المفسرون في تأويل الآية الكريمة؛ فقال بعضهم لابد من تقدير مضاف في الآية الكريمة، وبناءً على ذلك يكون معنى الآية الكريمة: "وما أدراك ما اقتحام العقبة"، ثم جاء تفسير هذا الاقتحام بقوله فك رقبة.

قال أبو علي الفارسي ـ رحمه الله: "وما أدراك ما اقتحام العقبة؟ لا بدّ من تقدير هذا المحذوف؛ لأنه لا يخلو من أن تقدّر حذف هذا المضاف أو لا تقدّره، فإن لم تقدّره وتركت الكلام على ظاهره، كان المعنى: العقبة فكّ رقبة ولا تكون العقبة الفكّ لأنه عين، والفكّ حدث، والخبر ينبغي أن يكون المبتدأ في المعنى، فإذا لم يستفهم كان المضاف مرادًا، فيكون المعنى اقتحام العقبة فكّ رقبة، أو إطعام، أي: اقتحامها أحد هذين، أو هذا الضرب من فعل القرب، ومثل هذا قوله: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ﴾ (الهمزة:٥،٦)، أي: الحطمة نار الله".[٢]

وقال بعض المفسرين إن المعنى يستقيم دون الحاجة إلى تقدير هذا المضاف، لأن تفسير العقبة بما بعدها من فك الرقبة وغيرها يكون من باب المجاز.

---

(١) يُنظر التحرير والتنوير بتصرف ج٣٠ ص٣٤٧.

(٢) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ج٦ ص٤١٤.

يقول الإمام الألوسي ـ رحمه الله: "وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾ أي: أيُّ شيء أعلمك ما هي تعظيمًا لشأن العقبة المفسرة بقوله سبحانه ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ إلخ وتفسيرها بذلك بناء على الادعاء والمجاز وهو مما لا شبهة في صحته وإن لم يتحد العقبة والفك حقيقة فلا حاجة إلى تقدير مضاف كما زعمه الإمام ليصح التفسير، أي وما أدراك ما اقتحام العقبة فك".[١]

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله: "وتبيين العقبة بأنها: فك رقبة أو إطعام مبني على استعارة العقبة للأعمال الصالحة الشاقة على النفس، وقد علمت أن ذلك من تشبيه المعقول بالمحسوس، فلا وجه لتقدير من قدر مضافا فقال: أي وما أدراك ما اقتحام العقبة".[٢]

وقوله ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ ﴾: خبرٌ لمبتدأ محذوف، والتقدير: هو فك، والضمير يعود على الاقتحام، أو هي فك رقبة والضمير يعود إلى العقبة.

وقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي فكَّ بفتح الكاف على صيغة الفعل الماضي، وبنصب رقبة على المفعول لفكَّ، أو "أطعَمَ" بدون ألف بعد عين إطعام على أنه فعل ماض عطفًا على فكَّ، فتكون جملة: فكَّ رقبةً بيانًا لجملة ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾ وما بينهما اعتراضا، أو تكون بدلًا من جملة ﴿ ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴾ أي: ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾ ولا فك رقبة أو أطعم، وما بينهما اعتراض كما تقرر آنفا.[٣]

والفك تخليص شيء من شيء قال الشاعر:

---

(١) يُنظر روح المعاني للألوسي ج١٥ ص٣٥٣.

(٢) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٣٥٧.

(٣) المرجع السابق.

فيا رب مكروب كررت وراءه ... وعان فككت الغل منه ففداني[١]

وهو مصدر فك، وكذا الفكاك بفتح الفاء كما نص عليه الفرّاء، والمشهور أن المراد به هنا تخليص رقبة الرقيق من وصف الرق بالإعتاق، ومن الفك بهذا المعنى إعطاء المكاتب ما يصرفه في جهة فكاك نفسه.[٢] ومن الفك أيضًا فك رقبة الأسير من عدوه[٣]، فإن فكاك الأسير من أفضل الأعمال إلى الله عز وجل.

وقد ذكر الإمام الرازي ـ رحمه الله ـ في المراد بفك الرقبة وجهًا آخر وهو: أن يفك المرء رقبة نفسه بما يتكلفه من العبادة التي يصير بها إلى الجنة فهي الحرية الكبرى، ويتخلص بها من النار.[٤]

ولا يخفى بعد هذا القول كما ذكر الإمام الألوسي ـ رحمه الله.[٥]

وقد بدأ سبحانه بفك الرقبة، ولهذا البدء دلالته الصريحة عن أن تحرير الإنسانية من أغلال الرق هو أول خطوة في النضال الصعب من أجل الوجود الكريم الجدير بالإنسان، فليس شيء أخر بالذي يسبق رد الكرامة الآدمية للإنسانية. وكل إصلاح لخير البشر والمجتمع، إنما يأتي بعد أن نرد إلى الإنسانية اعتبارها المهدر بالرق.

---

(١) البيت قاله امرؤ القيس، يُنظر ديوانه ص١٦٤.

والمكروب: يريد به هنا من أحاط به الكرب في ساحة الحرب، وضويق حتى كاد يصرع، كررت وراءه: رجعت إليه ودفعت عنه حتى أنقذته، وعان: أسير، وفككت: نزعت، الغل: الحبل الذي في عنقه، ويروى فككت الكبل أي القيد، ففداني: فقال لي فداك أبي وامي.

(٢) روح المعاني للألوسي ج١٥ ص٣٥٣، ٣٥٤.

(٣) يُنظر أحكام القرآن لابن العربي ج٤ ص٤٠١.

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ج٣١ ص١٦٩.

(٥) روح المعاني للألوسي ج١٥ ص٣٥٤.

واستعمال الفك والرقبة، فيه ما فيه من إشعار بأن العبد المسترق مغلول الرقبة بقيد مهين يسلبه إنسانيته وينزل به إلى منزلة البهم والدواب، وهو المخلوق الذي سواه الله بشرًا حرًا كريمًا، فاستعبده مخلوق مثله، حسب لفرط غروره بقوته وثرائه، أن لن يقدر عليه أحد.[١]

وقد ذهب الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ إلى أنَّ العتق أفضل من الصدقة، وعند صاحبيه الصدقة أفضل والآية على ما قيل أدل على قول الإمام لمكان تقديم الفك على الإطعام.

وعن الشعبي تفضيل العتق أيضا على الصدقة على ذي القرابة فضلًا عن غيره.[٢]

هذا وقد ثبت الترغيب في عتق الرقاب، وفكاك الأسير في أحاديث كثيرة ثابتة عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ منها:

ما روي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "من أعتق رقبة، أعتق الله بكل عضو منها عضوًا من أعضائه من النار، حتى فرجه بفرجه".[٣]

وعن عمرو بن عبسة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: " من بنى لله مسجدا ليذكر الله ـ عز وجل ـ فيه، بنى الله له بيتًا في

---

(١) التفسير البياني للقرآن ج١ ص١٨٦،١٨٧.

(٢) روح المعاني للألوسي ج١٥ ص٣٥٤.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب كفارات الأيمان، باب قول الله تعالى {أو تحرير رقبة} (المائدة:٨٩) ، وأي الرقاب أزكى ج٦ ص٢٤٦٩، برقم (٦٣٣٧) ، ومسلم في صحيحه، كتاب العتق، باب فضل العتق ج٢ ص١١٤٧، برقم (١٥٠٩).

الجنة، ومن أعتق نفسًا مسلمةً كانت فديته من جهنم، ومن شاب شيبةً في سبيل الله ـ عز وجل ـ، كانت له نورًا يوم القيامة".[١]

وعن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "من أعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار".[٢]

وعن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء أعرابي إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: يا رسول الله، علمني عملًا يدخلني الجنة، فقال: " لئن كنت أقصرت الخطبة، لقد أعرضت المسألة، أعتق النسمة، وفك الرقبة"، فقال: يا رسول الله، أوليستا بواحدة؟ قال: "لا، إنَّ عتق النسمة أن تفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في عتقها، والمنحة الوكوف، والفيء على ذي الرحم الظالم، فإن لم تطق ذلك، فأطعم الجائع، واسق الظمآن، وأمر بالمعروف، وأنه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك، فكف لسانك إلا من الخير".[٣]

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أحمد في مسنده ج٣٢ ص١٨٧، برقم (١٩٤٤٠) ، والبغوي في شرح السنة ج٩ ص٣٥٥، برقم (٢٤٢٠) ، وصححه الشيخ الأرنؤوط في تعليقه على المسند.

(٢) حديث صحيح: أخرجه أحمد في مسنده ج٢٨ ص٥٣٥،٥٣٦، برقم (١٧٣٢٦) ، وصححه الشيخ الأرنؤوط في تعليقه على المسند، كما صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ج٢ص٣٩٣، برقم (١٨٩٢).

(٣) حديث صحيح: أخرجه أحمد في مسنده ج٣٠ ص٦٠٠، برقم (١٨٦٤٧) ، وابن حبان في صحيحه، كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، ذكر الخصال التي إذا استعملها المرء أو بعضها كان من أهل الجنة ج٢ ص٩٧، برقم (٣٧٤)، وصححه الشيخ الأرنؤوط في تعليقه على المسند، وفي تعليقه على صحيح ابن حبان، وصححه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح ج٢ ص١٠١٠، حديث رقم (٣٣٨٤).

وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ "فكوا العاني وأطعموا الجائع وعودوا المريض".[١]

ثم شرع سبحانه في بيان فضيلةٍ ثانيةٍ من الفضائل التي تؤدي إلى مجاهدة النفس، وحملها على طاعة الله- تعالى، فقال: ﴿ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ ﴾.

﴿ أَوۡ ﴾: حرف عطف وهو في الآية الكريمة للتنويع.[٢]

﴿ إِطۡعَٰمٞ ﴾ معطوف على فك رقبة: وتقدير الآية: هي أي العقبة فكُ رقبة، أو إطعامٌ.

﴿ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴾: المراد باليوم هنا الزمان والوقت لا النهار المعروف[٣]، والمعنى: في وقتٍ وزمانٍ ﴿ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴾، والمسغبة: المجاعة، والسغب: الجوع، والساغب: الجائع.[٤]

قال الشاعر:

فلو كنت حرًا يا ابن قيس بن عاصم ... لما بت شبعانًا وجارك ساغبًا[٥]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير ج٣ ص١١٠٩، برقم (٢٨٨١). والعاني الْأَسير مأخوذ من الذل والخضوع لِأَنَّهُ يُقَال لكل من ذل واستكان: قد عَنَّا يعنو، وقَالَ الله تبَارك وتَعَالَى {وَعَنَتِ الْوُجُوه لِلْحَيِّ الْقَيُّوم} – وَالِاسْم من ذَلِك العَنوة. غريب الحديث للقاسم بن سلام ج٢ ص١٨٦.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ج١٠ ص٤٨٣.

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٣٠ ص٣٥٨.

(٤) فتح القدير للشوكاني ج٥ ص٥٤١.

(٥) ذكر هذا البيت أبو موسى محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني في المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث بغير نسبة، ولم أقف على قائله.

أي جائعًا.

عن مجاهد ـ رحمه الله قال: "﴿ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ قال: الجوع".[١]

وعن قتادة ـ رحمه الله ـ قال: "قوله﴿ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾: يوم يُشْتَهَى فيه الطعام".[٢]

وجاز أن يُوصف اليوم بهذا، كما جاز أن يقال: ليل نائم ونهار صائم، على سبيل المبالغة.[٣]

وقيّد الإطعام بيوم المجاعة: لأن إخراج المال فيه أشد على النفس.[٤]، فإذا أخرجه كان ذلك دليلًا على قوة الإيمان بالجزاء، وتقديم ما عند الله.

قال الإمام الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله: "ووجه تخصيص اليوم ذي المسغبة بالإطعام فيه؛ أن الناس في زمن المجاعة يشتد شحهم بالمال خشية امتداد زمن المجاعة والاحتياج إلى الأقوات. فالإطعام في ذلك الزمن أفضل، وهو العقبة ودون العقبة مصاعد متفاوتة".[٥]

وقد ورد عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الترغيب في إطعام الجائع وبين أنه من موجبات مغفرة الذنوب، فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٤٣، عن مجاهد بإسناد صحيح. يُنظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ج٤ ص٦٣٥.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٤٣، عن قتادة بإسناد صحيح، وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد ورجاله وبينا أنه إسناد صحيح، ورجاله ثقات.

(٣) الحجة للقراء السبعة للحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل ج٦ ص٤١٥، التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي ج١٥ ص٤٠٦.

(٤) التفسير المنير للزحيلي ج٣٠ ص٢٥١.

(٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٣٠ ص٣٥٨.

. قال: قال رسول الله . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .: "من موجبات المغفرة إطعام المسلم السغبان".[١]

قوله: ﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾: ﴿ يَتِيمًا ﴾ منصوبٌ على أنه مفعولٌ به لقوله: ﴿ إِطْعَٰمٌ ﴾ أو أطعم على القراءة الثانية.

واليَتيمُ: هو الَّذِي مَاتَ أَبوهُ قبل البلوغ، فَهُوَ يتيمٌ حَتَّى يَبْلُغَ، فَإِذا بَلَغَ زَالَ عَنهُ اسْم اليَتيم[٢]، كما قال الرسول . صلى الله عليه وسلم . "لا يُتْمَ بعد احتلام، ولا يتم على جارية إذا هي حاضت".[٣]

وسُمي اليتيم: يتيمًا لضعفه، يقال: يتم الرجل يتما: إذا ضعف.[٤]

وقد ذكر أهل اللغة[٥] أن اليتيم في الناس من قبل الأب، وفي البهائم من قبل الأمات.

قال ابن خالويه: "ويجوز أن يكون اليتم في الطير من قبل الأب والأم لأنهما جميعًا يزُقان ويلقمان، وفي الجراد منهما أيضًا، لأنه يغرز البيض ويطير".[٦]

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٢ ص٥٧٠، برقم (٣٩٣٥) ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص، كما صححه ابن الملقن. يُنظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ج٤ ص٦٣٥.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ج١٤ ص٤١، باب التاء والميم.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج٤ ص١٤، برقم (٣٥٠٢) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ج١٢ ص١٣، برقم (٣١٨٠).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٢٠ ص٦٩.

(٥) يُنظر جمهرة اللغة لابن دريد ج١ ص٤١١،كتاب الأفعال لعلي بن جعفر بن علي السعدي، المعروف بابن القَطَّاع الصقلي ج٣ ص٣٧٦، التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ص٣٤٦.

(٦) يُنظر ليس في كلام العرب للحسين بن أحمد بن خالويه ص١٤٠.

وقال بعض أهل اللغة: اليتيم الذي يموت أبواه، قال قيس بن الملوح:

إلى اللهِ أشكو فقدَ ليلى كما شكا ... إلى اللهِ فقدَ الوالدين يتيم[١][٢]

و ﴿ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥﴾: أي: قرابةٌ من النسب، يقال فلانٌ ذو قرابتي، وذو مقربتي.

وخص اليتيم بقوله ﴿ ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥﴾: لأنَّ الإطعام في حقه أفضل وأولى من غيره، وهذا نحو ما قاله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "إنَّ الصدقة على القريب صدقة وصلة، وعلى البعيد صدقة فقط".[٣]

وما قاله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لزينب امرأة عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ لما سألته هل يجوز لها التصدق على زوجها فقال: "نعم لها أجران أجر القرابة وأجر الصدقة ".[٤]

---

(١) يُنظر ديوان قيس بن الملوح ص١١٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٢٠ ص٧٠.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ج٢٦ ص١٧١، برقم (١٦٢٣٣)، وابن أبي شيبة في مسنده ج٢ ص٣٤٥، برقم (٨٤٨)، وفي مصنفه أيضًا ج٢ ص٤١٣، برقم (١٠٥٤١)، وابن ماجة في سننه، كتاب الزكاة، باب فضل الصدقة ج١ ص٥٩١، برقم (١٨٤٤)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الزكاة، باب الصدقة على الأقارب ج٢ ص٤٩، برقم (٢٣٦٣)، وصححه لغيره الشيخ الأرنؤوط في تعليقه على المسند، كما صححه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح ج١ ص٦٠٤، برقم (١٩٣٩).

(٤) جزء من حديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر ج٢ ص٥٣٣، برقم (١٣٩٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد ج٢ ص٦٩٤، برقم (١٠٠٠)، عن زينب، امرأة عبد الله بلفظ: "كنت في المسجد فرأيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: "تصدقن ولو من حليكن"، وكانت زينب تنفق على عبد الله وأيتام في حجرها قال فقالت لعبد الله سل رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ أيجزي عني أن أنفق عليك وعلى أيتامي في

قال الإمام الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله: "ووجه تخصيص اليتيم بالإطعام أنَّه مظنة قلة الشبع لصغر سنه، وضعف عمله، وفقد من يعوله، ولحيائه من التعرض لطلب ما يحتاجه، فلذلك رغبَّ في إطعامه وإن لم يصل حد المسكنة والفقر، ووصف بكونه ﴿ ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ أي مقربة من المُطْعِم؛ لأن هذا الوصف يؤكد إطعامه؛ لأنَّ في كونه يتيمًا إغاثة له بالإطعام، وفي كونه ذا مقربة صلة للرحم".[١]

قوله تعالى: ﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾: حرف عطف للتنويع كما تقدم، و﴿ مِسْكِينًا ﴾ معطوف على ﴿ يَتِيمًا ﴾، وقد اختلف أهل العلم في معنى المسكين، والفرق بينه وبين الفقير إلى عدة أقوال أهمها ما يلي:

القول الأول: أنَّ المسكين هو الذي لا شيء له، والفقير هو الذي له بعض ما يكفيه ويقيمه، وبناء على ذلك فالفقير أحسن حالًا من المسكين.

القول الثاني: وهو عكس القول الأول.

القول الثالث: أنه لا فرق بينهما من حيث المعنى وإن اختلفا في الاسم.

وإلى هذه الأقوال يشير الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ في تفسيره فيقول: "اختلف علماء اللغة وأهل الفقه في الفرق بين الفقير والمسكين على تسعة أقوال، فذهب يعقوب ابن السكيت[٢] والقتبي[١] ويونس بن حبيب[٢] إلى أنَّ الفقير

حجري صدقة ؟ فقال سلي أنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانطلقت إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوجدت امرأة من الأنصار على الباب حاجتها مثل حاجتي فمر علينا بلال فقلنا سل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيجزي عني أن أنفق على زوجي وأيتام لي في حجري وقلنا لا تخبر بنا فدخل فسأله فقال: "من هما"، قال زينب قال (أي الزيانب)، قال امرأة عبد الله قال: "نعم لها أجران أجر القرابة وأجر الصدقة". واللفظ للبخاري.

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٣٠ ص٣٥٨،٣٥٩.

(٢) يُنظر كتاب الألفاظ لابن السكيت، أبي يوسف يعقوب بن إسحاق ج١٤ ص٢.

أحسن حالًا من المسكين، قالوا: الفقير هو الذي له بعض ما يكفيه ويقيمه، والمسكين الذي لا شيء له، وقال آخرون بالعكس، فجعلوا المسكين أحسن حالًا من الفقير، واحتجوا بقوله تعالى: "أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ"، فأخبر أنَّ لهم سفينة من سفن البحر، وربما ساوت جملةً من المال، وعضدوه بما روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه تعوذ من الفقر[٣]، ورُوي عنه أنه قال: "اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا"[٤]، فلو كان المسكين أسوأ حالًا من الفقير لتناقض الخبران، إذ يستحيل أن يتعوذ من الفقر ثم يسأل ما هو أسوأ حالاً منه، وقد استجاب الله دعاءه وقبضه وله مال مما أفاء الله عليه، ولكن لم يكن معه تمام الكفاية، ولذلك رهن درعه[٥]، وذهب

---

(١) يُنظر غريب القرآن لابن قتيبة ص١٨٨.

(٢) يُنظر تهذيب اللغة للأزهري ج٩ ص١٠٣.

(٣) يدل على ذلك ما أخرجه أحمد في مسنده ج٣٤ ص٥٢، برقم (٢٠٤٠٩) ، وابن أبي شيبة في مصنفه ج٦ ص١٨، برقم (٢٩١٣٨) ، عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول في دبر كل صلاة: "اللهم إني أعوذ بك من الكفر، والفقر، وعذاب القبر"، قال الشيخ الأرنؤوط في تعليقه على المسند "إسناده قوي على شرط مسلم".

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الزهد، باب مجالسة الفقراء ج٢ ص١٣٨١، برقم (٤١٢٦)، والحاكم في المستدرك ج٤ ص٣٨٥، برقم (٧٩١١)، عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي في التلخيص، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ج١ ص٣٠٧، برقم (٣٠٨).

(٥) أخرج البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والقميص في الحرب ج٣ ص١٠٦٨، برقم (٢٧٥٩)، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: "توفي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير".

إلى هذا الأصمعي وغيره، وحكاه الطحاوي عن الكوفيين، وهو أحد قولي الشافعي[١] وأكثر أصحابه.

وللشافعي قولٌ آخر[٢] أنَّ الفقير والمسكين سواء، لا فرق بينهما في المعنى وإن افترقا في الاسم، وهو القول الثالث، وإلى هذا ذهب ابن القاسم وسائر أصحاب مالك، وبه قال أبو يوسف".[٣]

و﴿ ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾: صفة لـ ﴿ مِسْكِينًا ﴾، وقدد اختلف العلماء في معنى قوله: ﴿ ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ على أقوال:

الأول: أن معنى المتربة الحاجة والافتقار الشديد، مصدر ميمى من ترب الرجل . كطرب . إذا افتقر، حتى لكأنه قد لصق بالتراب من شدة الفقر، وأنه ليس له مأوى سوى التراب.[٤]

عن ابن عباس . رضي الله عنهما . قال:" ﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ شديد الحاجة".[٥]

وعنه . رضي الله عنه . في رواية أخرى﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ قال: "المطروح على التراب الذي ليس له بيت".[٦]

وعن مجاهد . رحمه الله . قال: "قوله: ﴿ ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ ساقط في التراب".[١]

---

(١) يُنظر الأم للشافعي ج٢ ص٨٩.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٨ ص١٦٨،١٦٩.

(٤) التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي ج

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٤٥ عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة بإسناد حسن. يُنظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ج٤ ص٦٣٥.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٢ ص٥٧٠، برقم (٣٩٣٦) ، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي في التلخيص.

الثاني: أن معنى قوله: ﴿ ذَا مَتۡرَبَةٍ ۝١٦ ﴾؛ أي ذو عيال.

وقد رُوي هذا القول عن ابن عباس ـ ضي الله عنهما ـ من طريق عطية العوفي[٢]، وعن قتادة ـ رحمه الله ـ قال: " قوله: ﴿ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٍ ﴾ كنا نُحدَّث أنَّ الترب هو ذو العيال الذي لا شيء له".[٣]

الثالث: وهو قول عكرمة: أن المراد به المديون.

الرابع: قال أبو سنان: هو ذو الزمانة.

الخامس: وهو قول ابن جبير: الذي ليس له أحد.

السادس: وهي عكرمة عن ابن عباس: ذو المتربة البعيد التربة، يعني الغريب البعيد عن وطنه.[٤]

والراجح من هذه الأقوال القول الأول وذلك لما يلي:

أولًا: أنَّ معنى المتربة: مكان التراب، والمعنى: أنه مسكين ليس بيديه شيء إلا التراب، ومعلوم أنه إذا قيل عن الرجل: ليس عنده إلا التراب، فالمعنى: أنه

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٤٥ عن مجاهد بإسناد صحيح. يُنظر الصحيح المسبور في التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بن بشير ياسين ج١ ص٥٥ ـ ٥٩.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٤٥ من طريق عطية العوفي، بلفظ:" ﴿ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٍ ﴾ أي: مسكين ذو بنين وعيال، ليس بينك وبينه قرابة، وهذا الطريق مسلسل بالضعفاء، يُنظر تعليق الشيخ أحمد شاكر على رجال الإسناد في تعليقه على تفسير الطبري ج١ ص٢٦٣

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٤٤٥ عن قتادة بإسناد صحيح، وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد ورجاله وبينا أنه إسناد صحيح، ورجاله ثقات.

(٤) ذكر هذه الأقوال كل من الإمامين الماوردي في النكت والعيون ج٦ ص٢٧٩، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج٢٠ ص٧٠، ولم أقف عليها في كتب التفسير المسندة.

فقير جدًا ليس عنده طعام، وليس عنده كساء، وليس عنده مال فهو مسكين ذو متربة.

وفي غريب القرآن للأصفهاني: "وتَرِبَ: افتقر، كأنه لصق بالتراب، قال تعالى: ﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾، أي: ذا لصوق بالتراب لفقره، وأَتْرَبَ: استغنى، كأنه صار له المال بقدر التراب".(١)

وفي التفسير البياني للقرآن: "وكون المسكين ذا متربة، بيان لمدى العوز والهوان، يلصق المسكين بالتراب، أو يجعله، من فرط العدم، لا يجد سوى التراب".(٢)

ثانيًا: أنَّ هذا القول هو أعم الأقوال، وأما بقية الأقوال فإنما هي تفسير بالجزء أو المثال، وهي كلها أسبابٌ تؤدي إلى المعنى الأول؛ وذلك أنَّ الافتقار وشدة الحاجة قد يكون بسبب كثرة العيال، وقد يكون بسبب الزمانة والمرض فلا يستطيع أن يعمل عملًا يكون سببًا في كفايته، وغناه عن الناس، وقد يكون سبب الحاجة الدَّيْن الذي عليه، وقد يكون سبب الحاجة أنَّه مغتربٌ عن وطنه بعيدٌ عنه، وقد يكون سبب الحاجة أنه ليس له أحدٌ يعوله ويكفله، ومن القواعد المقررة عند أهل العلم أنه : " متى أمكن حمل الآية على معنى كليٍّ عامٍ شاملٍ يجمع تفسيراتٍ جزئيةً جاءت في تفسيرها ، ولا معارض له، وتشهد الأدلة لصحته، فهو أولى بتفسير الآية حملًا لها على عموم ألفاظها، ولا داعي

---

(١) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ص١٦٥.

(٢) التفسير البياني للقرآن لعائشة عبد الرحمن ج١ ص١٨٧.

لتخصيصها بواحد من المعاني الجزئية التي جاءت في التفاسير إلا أنْ يكون السياق يقتضي تخصيصها حتمًا أو يقوم الدليل على ذلك "[١]

قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: أي كان مقتحم العقبة، وهو فاك الرقبة، والمطعم من الذين آمنوا، فإنَّه إنْ لم يكن منهم لم ينفعه قربة، لإحباط الكفر لها.

وقد طرح المفسرون إشكالًا عند تفسيرهم للآية الكريمة، وذلك أنَّ ـ عز وجل ـ عطف جملة ﴿كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ على ما قبلها من فك الرقبة والإطعام بحرف العطف ﴿ثُمَّ﴾ وهي تفيد الترتيب والتراخي باتفاق أهل اللغة، فيفيد ظاهرها تأخر الإيمان عن هذه الطاعات، مع أن الإيمان ينبغي أن يكون مقدمًا عليها لأنه شرطٌ للانتفاع بها، فما السبب في أن الله تعالى أخره عنها بقوله: ثم كان من الذين آمنوا؟

وقد أجاب المفسرون على هذا الإشكال بعدة أجوبة:

أحدها: أن ﴿ثُمَّ﴾ في الآية الكريمة للتراخي في الذكر لا في الوجود، كأنه قيل: ثم اذكر أنَّه ﴿كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

كقول الشاعر:

إنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ... ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدّهْ[٢]

---

(١) يُنظر قواعد التدبر الأمثل لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص٥٩، قواعد الترجيح لحسين الحربي ج٢ ص٥٢٧.

(٢) البيت قاله أبو نواس، وهو في ديوانه ص٢٦١، برواية:

لم يرد بقوله: ثم ساد أبوه التأخر في الوجود، وإنَّما المعنى، ثم اذكر أنَّه ساد أبوه.[١]

الثاني: أنَّ ﴿ثُمَّ﴾للتراخي الرتبي، فتدل على أنَّ مضمون الجملة المعطوفة بها أرقى رتبةً في الغرض المسوق له الكلام من مضمون الكلام المعطوفة عليه، فيصير تقدير الكلام: فلا اقتحم العقبة بفك رقبة أو إطعام بعد كونه مؤمنًا.[٢]

قال الإمام الزمخشري ـ رحمه الله: "جاء بثُمَّ لتراخى الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة، لا في الوقت، لأنَّ الإيمان هو السابق المقدّم على غيره، ولا يثبت عملٌ صالحٌ إلا به".[٣]

الثالث: أنَّ ﴿ثُمَّ﴾على ظاهرها من الترتيب والتراخي، ومعنى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: ثم كان في عاقبة أمره من الذين آمنوا، وهو أن يموت مؤمنًا، فإنَّ من كان موافاته الموت على الإيمان نفعته القرب، ومن لا فلا، إذ الموافاة على الإيمان شرط في الانتفاع بالطاعات.[٤]

الرابع: أنَّ ﴿ثُمَّ﴾على بابها من الترتيب والتراخي، ومعنى الآيات الكريمة: من أتى بهذه القرب تقربًا إلى الله ـ تعالى ـ قبل إيمانه بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم آمن بعد ذلك بمحمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ أُجر على ما سلف له من الخير، ويدل عليه ما رُوي أنَّ حكيم بن حزام بعد ما أسلم قال لرسول الله ـ

قَلْ لمنْ سادَ ثُم سَادَ أبوُه ... قَبْله ثم قبلَ ذلك جَدّه

(١) التفسير الوسيط للواحدي ج٢٤ ص٣٤،٣٥، مفاتيح الغيب للرازي ج٣١ ص١٧١، البحر المحيط لأبي حيان ج١٠ ص٤٨٣.

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٣٠ ص٣٦٠.

(٣) الكشاف للزمخشري ج٤ ص٧٥٧.

(٤) التفسير الوسيط للواحدي ج٢٤ ص٣٥، مفاتيح الغيب للرازي ج٣١ ص١٧٠، البحر المحيط لأبي حيان ج١٠ ص٤٨٣.

صلى الله عليه وسلم .: "أرأيت أشياء كنت أتحنث بها في الجاهلية من صدقةٍ أو عتاقةٍ وصلة رحم فهل فيها من أجر؟ فقال النبي . صلى الله عليه وسلم .: "أسلمت على ما سلف من خير".[١][٢]

الخامس: أن ﴿ثُمَّ﴾ في الآية ليست على ظاهرها من الترتيب والتراخي وإنما هي بمعنى "الواو"، التي تفيد مطلق الجمع، وهذا جوابٌ بعيد، لأنَّ استعمال ثُمَّ بمعنى الواو هو قول بعض النحاة، وهو مذهب مخالف لمذهب جمهور النحاة أنَّ ثُمَّ تفيد الترتيب.[٣] ولا شك أنَّ قول الجمهور أقوى .

وقد ذكر الإمام أبو جعفر النحاس . رحمه الله . هذا الجواب وعقب عليه بعدم الصحة والجواز فقال: "وقيل (ثُمَّ) هاهنا بمعنى الواو وهذا لا يصح ولا يجوز".[٤]

وقد قال . سبحانه . في الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ دون أن يقول: "ثم كان مؤمنًا"؛ لأنَّ كونه من الذين آمنوا أدل على ثبوت الإيمان من الوصف بمؤمن لأن صفة الجماعة أقوى من أجل كثرة الموصوفين بها فإنَّ

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب من تصدق في الشرك ثم أسلم ج٢ ص٥٢١، برقم (١٣٦٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده ج١ ص١١٣، برقم (١٢٣)، وقد نقل ابن بطال . رحمه الله . عن بعض أهل العلم أن معنى هذا الحديث: "أنَّ كل مشرك أسلم أنه يكتب له أجر كل خير عمله قبل إسلامه، ولا يكتب عليه بشيء من سيئاته، لأنَّ الإسلام يهدم ما قبله من الشرك، وإنما كتب له الخير، لأنَّه إنما أراد به وجه الله، لأنهم كانوا مقرين بالله إلا أن علمهم كان مردودًا عليهم لو ماتوا على شركهم، فلما أسلموا تفضل الله عليهم، فكتب لهم الحسنات، ومحا عنهم السيئات". (يُنظر شرح صحيح البخاري ج٣ ص٤٣٧، ٤٣٨).

(٢) التفسير الوسيط للواحدي ج٢٤ ص٣٥، مفاتيح الغيب للرازي ج٣١ ص١٧٠، ١٧١.

(٣)انظر الجنى الداني في حروف المعاني ص٤٢٦.

(٤) معاني القرآن لأبي جعفر النحاس ج٦ ص٢٤٩.

كثرة الخير خير، ثم في هذه الآية تقوية أخرى للوصف، وهو جعله بالموصول المشعر بأنهم عرفوا بالإيمان بين الفرق.

وحذف متعلق آمنوا للعلم به، أي آمنوا بالله وحده وبرسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودين الإسلام، فجعل الفعل كالمستغني عن المتعلق، وأيضًا ليتأتى من ذكر الذين آمنوا تخلصٌ إلى الثناء عليهم بقوله: ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾، ولبشارتهم بأنهم أصحاب الميمنة.[١]

وقوله:﴿وَتَوَاصَوْاْ ﴾: أي أوصى بعضهم بعضًا ﴿بِٱلصَّبْرِ ﴾ أي: بالصبر على طاعة الله، وعن معاصيه، وعلى ما أصابهم من البلايا والمصائب.[٢]

وقوله ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾: اختلف المفسرون في المراد بالمرحمة على قولين:

أحدهما: أن المراد بها التعاطف والتراحم[٣]، والمعنى أوصى بعضهم بعضا بأن يكونوا متراحمين متعاطفين، يرحمون اليتيم، ويعطفون على الضعفاء والمساكين.

الثاني: أن المراد بها ما يؤدي إلى رحمة الله[٤]، والمعنى أنهم تواصوا فيما بينهم بالأسباب التي تؤدي إلى رحمة الله ـ عز وجل.

والخلاف بين القولين من قبيل خلاف التنوع، ولذلك فلا مانع من تفسير الآية بالقولين معًا.

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٣٠ ص٣٦١.

(٢) فتح القدير للشوكاني ج٥ ص٥٤٢.

(٣) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي ج١٠ ص٤٨٣.

(٤) المرجع السابق.

وخص بالذكر من أوصاف المؤمنين تواصيهم بالصبر وتواصيهم بالمرحمة: لأنَّ ذلك أشرف صفاتهم بعد الإيمان، فإنَّ الصبر ملاك الأعمال الصالحة كلها لأنَّها لا تخلو من كبح الشهوة النفسانية وذلك من الصبر.

والمرحمة ملاك صلاح الجماعة الإسلامية؛ قال تعالى: ﴿ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ (الفتح: ٢٩)، والتواصي بالمرحمة فضيلة عظيمة، وهو أيضًا كناية عن اتصافهم بالرحمة لأن من يوصي بالمرحمة هو الذي عرف قدرها وفضلها، فهو يفعلها قبل أن يوصي بها.[١]

ولما نوه ـ سبحانه ـ بالذين آمنوا أعقب ذلك التنويه بالثناء عليهم وبشارتهم مفتتحًا باسم الإشارة لتمييزهم أكمل تمييز لإحضارهم بصفاتهم في ذهن السامع، مع ما في اسم الإشارة من إرادة التنويه والتعظيم، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨﴾

واسم الإشارة في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨﴾ يعود على الذين آمنوا وتواصوا بالصبر، وتواصوا بالمرحمة؛ أي: أولئك الموصوفون بتلك الصفات الكريمة ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾: وقد اختلف العلماء في معناها؛ فقيل هم الميامين على أنفسهم بالأعمال الصالحة، وقيل: هم الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم، وقيل: هم أصحاب المنزلة السنية، كما تقول: هو مني باليمين، وقيل: هم المأخوذ بهم ذات اليمين إلى الجنة يوم القيامة، أو هم ميمنة آدم المذكورة في حديث

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٣٠ ص٣٦١.

الإسراء في الأسودة، وقال المبرد: أصحاب الميمنة أصحاب التقدم، وأصحاب المشأمة أصحاب التأخر، والعرب تقول: اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك، أي: اجعلني من المتقدمين ولا تجعلني من المتأخرين.[١]

وهذه هذه المعاني متقاربة، والخلاف بينها من قبيل خلاف التنوع، وكلها تدل على سبقهم، وفلاحهم، وفوزهم، وكرامتهم عند الله عز وجل.

قال الإمام الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله: "والميمنة جهة اليمين، فهي مفعلة للمكان مأخوذة من فعل يَمَنه (فعلًا ماضيًا) إذا كان على يمينه، أي على جهة يده اليمنى، أو مأخوذة من يَمَنه الله يمنا، إذا باركه، وإحدى المادتين مأخوذة من الأخرى، قيل: سُميت اليد اليمنى يمينًا ويمنى لأنها أعود نفعًا على صاحبها في يسر أعماله، ولذلك سمي بلاد اليمن يمنًا لأنها عن جهة يمين الواقف مستقبلًا الكعبة من بابها لأنَّ باب الكعبة شرقيٌّ، فالجهة التي على يمين الداخل إلى الكعبة هي الجنوب وهي جهة بلاد اليمن، وكانت بلاد اليمن مشهورة بالخيرات فهي ميمونة.

وكان جغرافيو اليونان يصفونها بالعربية السعيدة، ونشأ على اعتبار عكس ذلك تسمية بلاد الشام شأمًا بالهمز مشتقة من الشؤم لأن بلاد الشام من جهة شمال الداخل إلى الكعبة...

ولما كان أهل الجاهلية يعتبرون جهة اليمين جهة مكرمة تعارفوا الجلوس على اليمين في المجامع كرامة للجالس، وجعلوا ضدهم بعكس ذلك، وقد أبطله الإسلام فكان الناس يجلسون حين انتهى بهم المجلس.

---

(١) يُنظر هذه الأقوال في تفسير البحر المحيط لأبي حيان ج١٠ ص١٧٨، فتح القدير للشوكاني ج٥ ص١٧٨.

وسُمي أهل الجنة أصحاب الميمنة وأصحاب اليمين، وسمي أهل النار أصحاب المشأمة وأصحاب الشمال في سورة الواقعة، فقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ أي أصحاب الكرامة عند الله".[١]

المطلب الخامس: بيان مصير الكفار الأشقياء.

يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠﴾

. مناسبة الآيتان لما قبلهما:

بعد أن ذكر الله ـ عز وجل ـ أَصْحابَ الْمَيْمَنَةِ أولئك الذين اقتحموا العقبة ففكوا الرقاب، وأطعموا المساكين، وواسوا ذوي القربى في يوم المسغبة، وآمنوا بكل ما يجب الإيمان به وتواصوا فيما بينهم بالصبر والمرحمة، شرع سبحانه في ذكر مقابل هؤلاء وهم الذين صدوا عن سبيل الله،

وتواصوا بالإثم وتواصوا بالعدوان ومعصية الرسول فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠﴾.

. القراءات:

قرأ أبو عمرو، وحفص عن عاصم، وحمزة وخلف ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾، وقرأ الباقون ﴿مُوصَدَةٌ﴾ غير مهموزة.[٢]

والحجة لمن حقق الهمز: أنه أخذه من آصدت النار فهي مؤصدة، والحجة لمن حذف الهمز: أنه أخذه من أوصدت النار فهي مُوصدة، وهما لغتان فصيحتان معناهما: أُغلقت عليهم فهي مغلقة.[١]

---

(١) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٣٦٢ بتصرف.

(٢) المبسوط في القراءات العشر لأحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ ص٤٧٣، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة لعبد الفتاح القاضي ص٣٤٣.

قال أبو منصور الأزهري ـ رحمه الله ـ: "هما لغتان: أوْصَدْتُ البابَ، وَآصَدْتُه، إذا أطْبَقته".[٢]

ـ المباحث العربية:

(أ) الإعراب:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ ﴾: الواو: حرف عطف، {الَّذِينَ}: اسم موصول مبنيٌّ على الفتح في محل رفع مبتدأ، ﴿ كَفَرُواْ ﴾ كفر: فعلٌ ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، وواو الجماعة ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل، والجملة من الفعل والفاعل صلة الموصول، لا محل لها من الإعراب، ﴿ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾: الباء حرف جر، {آيَاتِنَا}: اسم مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة، وآيات مضاف، ونا الفاعلين ضميرٌ متصلٌ مبنيٌّ على السكون في محل جر مضاف إليه، والجملة من الجار والمجرور متعلق بـ ﴿ كَفَرُواْ ﴾، ﴿ هُمۡ ﴾: ضميرٌ مبنيٌّ على السكون في محل رفع مبتدأ ثان، ﴿ أَصۡحَٰبُ ﴾: مضاف، ﴿ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴾: مضافٌ إليه، والجملة من المضاف والمضاف إليه خبر للمبتدأ الثاني ﴿ هُمۡ ﴾ والجملة من المبتدأ الثاني وخبره خبر للمبتدأ الأول {الَّذِينَ}.

﴿ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾ ﴾: على حرف جر، وهم ضميرٌ مبنيٌّ على السكون في محل جر بعلى، وشبه الجملة من الجار والمجرور في محل رفع خبر مقدم، ﴿ نَارٞ ﴾: مبتدأٌ مؤخرٌ مرفوعٌ وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، ﴿ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴾: صفةٌ

---

(١) الحجة في القراءات السبع للحسين بن أحمد بن خالويه ص٣٧٢.

(٢) معاني القراءات لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي ج٣ ص١٤٨.

لنار مرفوعة وعلامة رفعها الضمة الظاهرة، والجملة من المبتدأ والخبر في محل رفع خبر ثان عن ﴿ هُمۡ﴾، أو عن {الَّذِينَ}، ويجوز أن تكون مستأنفة.

(ب) معاني المفردات:

﴿ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴾: الْمَيْسَرَةُ، وَ (الشُّؤْمُ) ضِدُّ الْيُمْنِ؛ يُقَالُ: رَجُلٌ (مَشُومٌ) وَ (مَشْئُومٌ).[١]

وفي غريب القرآن للسجستاني: "وأصحاب المشأمة الذين يُعطون كتبهم بشمالهم، والعرب تسمي اليد اليسرى الشؤمى، والجانب الأيسر الأشأم، ومنه اليمن والشؤم لما جاء عن اليمين والشمال؛ فاليمن كأنه ما جاء عن اليمين، والشؤم ما جاء عن الشمال، ومنه اليمن والشأم لأنهما عن يمين الكعبة وشمالها، ويقال: أصحاب الميمنة أصحاب اليمن على أنفسهم، أي كانوا ميامين على أنفسهم، وأصحاب المشأمة المشائيم على أنفسهم".[٢]

﴿ مُّؤۡصَدَةٌ ﴾: أي مُطْبَقَةٌ مُغْلَقة؛ يقال: أوْصدتُ البابَ؛ إذا أطبقتَه وأغلقتَه.[٣]

(ج) بعض الصور البلاغية في الآيتين الكريمتين:

ضمير الفصل في قوله: ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴾ لتقوية الحكم وليس للقصر؛ إذ قد استفيد القصر من ذكر الجملة المضادة للتي قبلها وهي أولئك أصحاب الميمنة.[٤]

. المقابلة[١] اللطيفة بين قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝١٨ ﴾ وقوله: ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴾.

---

(١) مختار الصحاح ص١٦٠.

(٢) غريب القرآن لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني ص٤٢٦.

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ص٥٢٨.

(٤) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٣٦٣.

. الخلف في التعبير بين المؤمنين والكافرين؛ فقد أشار إلى المؤمنين تكريمًا لهم، وأنهم حاضرون عنده ـ تعالى ـ في مقام كرامته، وبمثابة الجالسين أمامه لا يعدو الأمر أكثر من الإشارة إليهم بالبنان، واستعمل لفظ الإشارة الدّال على البعد فلم يقل هؤلاء إيذانًا ببعد منزلتهم عنده ونيلهم شرف الحظوة والقرب منه، أما الكافرون فقد ذكرهم بضمير الغيبة إشارة إلى أنهم غائبون عن مقام تجلياته، وسبحات فيوضاته، وأنهم لا يستأهلون أن يمتّوا إليه ولو بأوهن الأسباب، وهذا من العجب العجاب فتدبره.[٢]

تقديم الخبر على المبتدأ في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ۝٢٠﴾ رعايةً للفاصلة.

قال الإمام الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله: "و﴿عَلَيْهِمْ﴾ متعلق بـ ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾، وقُدم على عامله للاهتمام بتعلق الغلق عليهم تعجيلا للترهيب، وقد استتب بهذا التقديم رعاية الفواصل بالهاء ابتداءً من قوله: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۝١١﴾ (البلد: ١١)".[٣]

---

(١) المقابلة: أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل، مثال مقابلة اثنين باثنين قوله تعالى:﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ (التوبة:٨٢). يُنظر الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ص٣٢١،٣٢٢، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي ج٤ ص٥٨٠.

(٢) إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش ج١٠ ص٤٩٢.

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٣٠ ص٣٦٣.

إسناد المؤصدية إلى النار مجازٌ عقلي[١]، والموصد هو موضع النار، أي جهنم.[٢]

ثالثًا: التفسير:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴾

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ أي بالقرآن، أو بما هو أعم منه، فتدخل الآيات التنزيلية والآيات التكوينية التي تدل على الصانع سبحانه[٣] ﴿ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴾: أي هم أصحاب الشمال يوم القيامة يُؤخذ بهم إلى جهة الشمال التي فيها الأشقياء[٤]، أو هم أصحاب الشؤم على أنفسهم؛ حيث عملوا بالمعاصي، واستوجبوا بها نارًا مؤصدة[٥]، أو هم الذين يعطون كتبهم بشمالهم.[٦]

وكل هذه المعاني متحققة في أصحاب المشأمة فهم أصحاب الشؤم على أنفسهم؛ حيث جلبوا لأنفسهم عذاب الله ـ عز وجل ـ بما ارتكبوه من الكفر

---

(١) المجاز العقلي: هو إسنادُ الفعل، أو ما في معناه (من اسم فاعل، أو اسم مفعول أو مصدر) إلى غير ما هو له في الظاهر، من حال المتكلم، لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ج١ ص٢٥٥.

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٣٠ ص٣٦٤.

(٣) فتح القدير للشوكاني ج٥ ص٥٤٢.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٢٤ ص٤٤٦، روح المعاني للألوسي ج١٥ ص٣٥٦.

(٥) تأويلات أهل السنة للماتريدي ج١٠ ص٥٣٨.

(٦) فتح القدير للشوكاني ج٥ ص٥٤٢.

والمعاصي، ويوم القيامة يأخذون كتبهم بشمائلهم، ثم يُذهب إلى ذات الشمال، ويدخلون النار وبئس القرار.

ولهذا قال عز وجل: ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ۝٢٠ ﴾: أي عليهم نار مغلقة بحيث لا يستطيعون الخروج منها، تقول: آصدت الباب وأوصدته، إذا أحكمت غلقه، والاسم فيهما، الإصاد والوصاد.[١]

والمراد مغلقة أبوابها، وإنما أغلقت لتشديد العذاب والعياذ بالله تعالى عليهم، وقد صرح ـ سبحانه ـ بوعيد الكافرين ولم يصرح بوعد المؤمنين لأنه الأنسب بما سيق له الكلام، والأوفق بالغرض والمرام ولذا جيء بضمير الفصل معهم لإفادة الحصر واعتبروا غيبًا كأنهم بحيث لا يصلحون بوجه من الوجوه لأن يكونوا مشارًا إليهم ولم يسلك نحو هذا المسلك في الجملة الأولى التي في شأن المؤمنين.[٢]

وقال سبحانه: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ۝٢٠ ﴾ ولم يقل: فوقهم، وذلك لأن الفوقية تحتمل البعد وعدم الملاصقة، بخلاف ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ التي تفيد الإطباق المباشر.[٣]

نسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعلنا من أصحاب الميمنة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) التفسير البسيط لمحمد سيد طنطاوي ج١٥ ص٤٠٧.

(٢) روح المعاني للألوسي ج١٥ ص٣٥٦.

(٣) التفسير البياني للقرآن الكريم للدكتورة عائشة عبد الرحمن ج١ ص١٩١.

الخاتمة (نسأل الله . تعالى . حسنها)

وتشتمل على

بعض الدروس المستفادة من السورة الكريمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعد،،،

بعد أن انتهيت . بعون الله وتوفيقه . من التفسير التحليلي للسورة الكريمة، يحسن بي أن أختم بحثي بذكر جملة من الدروس المستفادة من السورة الكريمة، وهي كما يلي:

١. أقسم الله . تعالى . بمكة لشرفها وعظمها، فهي أعظم بقاع الأرض حرمة، وأحب بقاع الأرض إلى الله كما أخبر بذلك رسول الله . صلى الله عليه وسلم . حين قال: "والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله عز وجل، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت".[١]

٢. لله . عز وجل . أن يقسم بما شاء على ما شاء، وليس للإنسان أن يقسم إلا بالله كما قال . صلى الله عليه وسلم .: "من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت".[٢]

٣ . في هذه السورة الكريمة سلوى لكل مهموم وفرج لكل مكروب، ببيان أن طبيعة الحياة آلام وهموم، وشدائد ونصب، ومعاناة وتعب، فالإنسان منذ خلق

([١]) أخرجه أحمد في مسنده ج٣١ ص١٠، برقم (١٨٧١٥)، بإسناد صححه الشيخ الأرنؤوط.

([٢]) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم ج٦ ص٢٤٤٩، برقم (٦٢٧٠)، عن ابن عمر . رضي الله عنهما . بلفظ: "أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال: "ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت".

في رحم أمه وإلى أن يموت هو في كفاح مستمر للحفاظ على حياته، وهو يكدح ويجد إما للوصول إلى الجنة، وإما للوصول إلى النار، وفي الآخرة يكون التعب الأكبر للأشقياء، والراحة الكبرى للسعداء.

٤. في قوله تعالى: «أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ»؟ إلفات للإنسان المغرور بقوته، المعتزّ بسلطانه وجاهه، المفتون بنفسه، المتشامخ بذاته، حتى ليحسب أن أحدًا لن يقدر عليه، أن أمره بيد القوي القادر.

٥. إنفاق المال تفاخرًا وحبًّا للظهور والسمعة لا فائدة منه ولا ثواب عليه، وقد سمى الله ـ عز وجل ـ الإنفاق في الشهوات والمعاصي إهلاكًا؛ لأنه لا ينتفع المنفق بما أنفق، ولا يعود عليه إلا الندم والخسارة.

٦. ينبغي على الإنسان أن يعلم أن الله مطلع عليه، قد وكل به حفظة كرامًا كاتبين يكتبون كل ما يصدر عنه من صغيرة وكبيرة، وأنه سيسأل يوم القيامة عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه.

٧. نعم الله عز وجل على عباده كثيرة متظاهرة، يقررهم الله تبارك وتعالى بها كي يقوموا بشكرها.

٩. من نعم الله عز وجل العظيمة وآلائه الجسيمة على الإنسان أن خلق له عينين يبصر بهما، ولسانًا ينطق به فيعبر عما في ض ميره، وشفتين يستعين بهما على الكلام، وأكل الطعام، وجمالًا لوجهه وفمه، وهذه النعم تقتضي من العبد أن يقوم بشكرها بالاستعانة بها طاعته، لا أن يستعين بها على معصيته.

١٠ ـ "أودع الله ـ عز وجل ـ في فطرة الإنسان التمييز بين الخير والشر، وجعل له من العقل والفكر ما يكون مذكرًا ومنبهًا، ونصب له الدلائل على حسن الخير، وأرشده إلى ما في الشر من هنوات وعيوب، ثم أقدره على أن يسلك أيّ الطريقين شاء، بعد أن آتاه قوة التمييز، والقدرة على الاختيار والترجيح، ليسلك الطريق التي أراد منهما، فليكن نجد الخير أحبّ إلى إليه من نجد الشر

فمن نازعته نفسه واتجهت إلى نجد الشر فليقمعها بالنظر في آيات الله، والتدبر في دلائله، ليعلم أن ذلك الطريق مظلم معوجّ يهوى بصاحبه إلى طريق الردى، ويوقعه في المهالك".[١]

١١ . الحث على أفعال الخير والتي منها: عتق الرقاب، إطعام الطعام، صلة الرحم، العطف على الأيتام والمساكين وأنها تعين الإنسان على تجاوز العقبة في الدنيا والآخرة.

١٢. من اتصف بهذه الصفات من المؤمنين فهم أصحاب الميمنة؛ لأنهم أدوا ما أمر الله به من حقوقه وحقوق عباده وتركوا ما نهوا عنه وهذا هو عنوان السعادة وعلامتها، وعلى النقيض من ذلك من لم يتصف بهذه الأوصاف، وكفر بالله وبآياته، فهم أصحاب المشأمة ومآلهم إلى النار وبئس القرار.

---

(١) ما بين العلامتين من تفسير المراغي ج٣٠ ص١٦٠ بتصرف.

فهرس المراجع:

أولًا: القرآن الكريم جلَّ من أنزله.

ثانيًا: كتب التفسير وعلوم القرآن:

١. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لأحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، المحقق: أنس مهرة، ط: دار الكتب العلمية – لبنان، ط٣، ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ.

٢. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٣. أحكام القرآن لابن العربي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

. آراء إبراهيم النخعي في التفسير جمعاً ودراسةً وتعليقاً من سورة النساء إلى آخر القرآن دراسة حديثيه وتفسيرية، إعداد الطالب: عبد الرحمن أحمد عبد الرحمن الخريصي، إشراف الدكتور: الشيف منصور بن عون العبدلي، رسالة مقدمة إلى كلية الدعوة وأصول الدين قسم الكتاب والسنة في جامعة أم القرى لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة.

٥. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي، ط: دار إحياء التراث العربي . بيروت.

٦. أسرار ترتيب القرآن للسيوطي، ط: دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

٧. أضواء البيان للشنقيطي، ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت . لبنان، ١٤١٥هـ.

٨. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق لعائشة عبد الرحمن، ط: دار المعارف، ط,٣

٩. إعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء العكبري، ط: عالم الكتب، دراسة وتحقيق: محمد السيد أحمد عزوز.

١٠. إعراب القرآن للأصبهاني الملقب بقوام السنة، قدمت له ووثقت نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد، ط: غير معروف (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض)، ط١، ١٤١٥هـ.

١١. إعراب القرآن للنحاس، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢. إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، ط: دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت).

١٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

١٤. بحثان حول سور القرآن الكريم للأستاذ الدكتور إبراهيم خليفة، ط: دار البصائر . القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م.

١٥. البحر المحيط في التفسير لأبي حيان، المحقق: صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ..

١٦. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة لعبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، ط: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.

١٧. البرهان في تناسب سور القرآن لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، تحقيق: محمد شعباني، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

١٨. البرهان في علوم القرآن للزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

١٩. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي، المحقق: محمد علي النجار، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

٢٠. البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو الداني، المحقق: غانم قدوري الحمد، ط: مركز المخطوطات والتراث – الكويت، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٢١. تأويلات أهل السنة لمحمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي، المحقق: د. مجدي باسلوم، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢٢. التبيان في إعراب القرآن للعكبري، المحقق: علي محمد البجاوي، ط: عيسى البابي الحلبي.

٢٣. التبيان في أقسام القرآن لابن القيم، المحقق: محمد حامد الفقي، ط: دار المعرفة، بيروت.

٢٤. تحبير التيسير في القراءات العشر، المحقق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، ط: دار الفرقان - الأردن / عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٥. التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ط: الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ.

٢٦. التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى . ١٤١٦هـ.

٢٧. التفسير البسيط للواحدي، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.
٢٨. التفسير البياني للقرآن الكريم لعائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ، ط: دار المعارف ـ القاهرة، الطبعة: السابعة.
٢٩. التفسير التحليلي لسورة النساء للأستاذ الدكتور إبراهيم خليفة، ط: مطبعة دار البيان بمصر. ٣٠. تفسير السمرقندي، ط: دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
٣١. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المحقق: محمد حسين شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ.
٣٢. تفسير القرآن للسمعاني، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٣٣. التفسير القرآني للقرآن للدكتور عبد الكريم يونس الخطيب، ط: دار الفكر العربي ـ القاهرة.
٣٤. تفسير المراغي، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط١، ١٣٦٥هـ.
٣٥. التفسير المنير للزحيلي، ط: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ..
٣٦. التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي، ط: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.

٣٧. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن لمحمد الأمين الهرري، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٣٨. تفسير عبد الرازق، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، ط: دار الكتب العلمية . بيروت، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

٣٩. تفسير مقاتل بن سليمان، المحقق: عبد الله محمود شحاته، ط: دار إحياء التراث . بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣هـ.

٤٠. التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم للدكتور فاضل السامرائي، ط: دار ابن كثير، ط١، ٢٠١٦م.

٤١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

٤٢. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية . القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ . ١٩٦٤م.

٤٣. الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط: دار إحياء التراث العربي . بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ.

٤٤. حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي، ط: دار صادر – بيروت.

٤٥. الحجة في القراءات السبع للحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، ط: دار الشروق – بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ..

٤٦. الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي، المحقق: بدر الدين قهوجي . بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف الدقاق، ط: دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

٤٧. الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ط: دار الفكر . بيروت.

٤٨. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي، ط: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، توزيع: مكتبة الخراز – جدة، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٤٩. روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي، ط: دار الفكر – بيروت.

٥٠. روح المعاني للألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، ط: دار الكتب العلمية . بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٥١. زاد المسير لابن الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، ط: دار الكتاب العربي . بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

٥٢. شواذ القراءات للكرماني، ط: مؤسسة البلاغ . بيروت . لبنان.

٥٣. علوم القرآن الكريم لنور الدين عتر، ط: مطبعة الصباح . دمشق، ط١، ١٤١٤ هـ . ١٩٩٣م.

٥٤. غريب القرآن لابن قتيبة، المحقق: أحمد صقر، ط: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

٥٥. فتح القدير للشوكاني، ط: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب . دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

٥٦. فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات لمحمد إبراهيم محمد سالم، ط: دار البيان العربى – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٥٧. القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب لعبد الفتاح القاضي، ط: دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٥٨. قواعد التدبر الأمثل لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط: دار القلم ـ دمشق، ط٤، ٢٠٠٩م.

٥٩. قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي، ط: دار القاسم ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٦٠. الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمذاني، ط: دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م.

٦١. الكشاف للزمخشري، ط: دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ.

٦٢. الكشف والبيان للثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢م.

٦٣. الكنز في القراءات العشر، المحقق: د. خالد المشهداني، ط: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٦٤. اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.

٦٥. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل لفاضل السامرائي، ط: دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

٦٦. المبسوط في القراءات العشر لأحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، ط: مجمع اللغة العربية – دمشق،١٩٨١م.

٦٧. مجاز القرآن لأبي عبيدة، المحقق: محمد فواد سزكين، ط: مكتبة الخانجى . القاهرة، الطبعة: ١٣٨١هـ.

٦٨. محاسن التأويل للقاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، ط: دار الكتب العلمية . بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

٦٩. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي، ط: وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.

٧٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية . بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٧١. مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه، ط: مكتبة المتنبي . القاهرة.

٧٢. معالم التنزيل للبغوي، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.

٧٣. معاني القراءات لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، ط: مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

٧٤. معاني القرآن لأبي جعفر النحاس، المحقق: محمد علي الصابوني، ط: جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٧٥. معاني القرآن للفراء، المحقق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط: دار المصرية للتأليف والترجمة . مصر، ط,١

٧٦. معاني القرآن وإعرابه للزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، ط: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٧٧. مفاتيح الغيب للرازي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

٧٨. المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط١ – ١٤١٢هـ.

٧٩. موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بن بشير بن ياسين، ط: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة– المدينة النبوية، ط١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

٨٠. نظم الدرر للبقاعي، ط: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٨١. النكت والعيون للماوردي، المحقق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

٨٢. الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر لمحمد محمد محمد سالم محيسن، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٨٣. الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة.

٨٤. الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي

وكيع بن الجراح ومروياته في التفسير من أول سورة تبارك إلى آخر سورة الناس جمعًا ودراسةً وتخريجًا، وهي رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، إعداد الباحثة هيفاء بنت صالح بن طاهر بوقس، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى.

ثالثًا: كتب الحديث وعلومه.

٨٥. سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط,١

٨٦. سنن ابن ماجة، ط: دار الفكر ـ بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٨٧. سنن أبي داود لأبي داود السجستاني، المحقق: شعَيب الأرنؤوط ـ محَمَّد كامِل قره بللي، ط: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٨٨. السنن الكبرى للنسائي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٨٩. سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط: مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٩٠. شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٩١. شعب الإيمان للبيهقي، ط: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.

٩٢. صحيح ابن حبان، المحقق: شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٩٣. صحيح البخاري، ط: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٩٤. صحيح الترغيب والترهيب، ط: مكتَبَة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٩٥. صحيح الجامع الصغير للألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.
٩٦. صحيح سنن النسائي للألباني، ط: مكتبة المعارف ـ الرياض.
٩٧. صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٩٨. غريب الحديث لابن الجوزي، المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
٩٩. غريب الحديث للحربي، المحقق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، ط: جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.
١٠٠. غريب الحديث للقاسم بن سلام، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، ط: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.
١٠١. فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ط: دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٧٩هـ.
١٠٢. اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي، المحقق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م.
١٠٣. المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
١٠٤. مسند ابن أبي شيبة، المحقق: عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي، ط: دار الوطن – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م.
١٠٥. مسند أبي داود الطيالسي، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، ط: دار هجر – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩م.

١٠٦. مسند أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١٠٧. مشكاة المصابيح، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥م.

١٠٨. مصنف ابن أبي شيبة، المحقق: كمال يوسف الحوت، ط: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٠٩. المعجم الكبير للطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط: مكتبة ابن تيمية – القاهرة

١١٠. معرفة أنواع علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح)، تحقيق: نور الدين عتر، ط: دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر – بيروت، سنة النشر: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١١١. الموضوعات لابن الجوزي، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، لناشر: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى.

١١٢. النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات بن الأثير، ط: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

رابعًا: كتب اللغة والمعاجم والأدب والبلاغة.

١١٣. الأفعال لعلي بن جعفر بن علي السعدي، المعروف بابن القَطَّاع الصقلي، ط: عالم الكتب، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١١٤. الألفاظ لابن السكيت أبي يوسف يعقوب بن إسحاق، المحقق: د. فخر الدين قباوة، ط: مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.
١١٥. الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط: دار الجيل – بيروت.
١١٦. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي، ط: مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
١١٧. البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، ط: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
١١٨. البلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفى أمين، ط: دار المعارف.
١١٩. التلخيص في علوم البلاغة للخطيب القزويني، ط: دار الفكر العربي.
١٢٠. تهذيب اللغة للأزهري، المحقق: محمد عوض مرعب، ط: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
١٢١. التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي القاهري، ط: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
١٢٢. جمهرة اللغة لابن دريد، المحقق: رمزي منير بعلبكي، ط: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
١٢٣. الجنى الداني في حروف المعاني لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي، المحقق: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢٤. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، ط: المكتبة العصرية، بيروت.

١٢٥. حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك لأبي العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي، ط: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.

١٢٦. ديوان أبي نواس، ط: دار الكتب الوطنية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.

١٢٧. ديوان الحطيئة، ط: دار المعرفة ـ بيروت.

١٢٨. ديوان العجاج، ط: مكتبة الدكتور مروان العطية، مكتبة أطلس ـ دمشق.

١٢٩. ديوان امرئ القيس، ط: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٤م.

١٣٠. ديوان جرير، ط: دار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت.

١٣١. ديوان دريد بن الصمة، ط: دار المعارف ـ القاهرة.

١٣٢. ديوان زهير بن أبي سلمى، ط: دار المعرفة ـ بيروت.

١٣٣. ديوان عنترة بن شداد، ط: مطبعة الآداب ـ بيروت.

١٣٤. ديوان قيس بن الملوح، ط: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٩م.

١٣٥. ديوان لبيد بن ربيعة، ط: دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

١٣٦. رصف المباني في شرح حروف المعاني، للإمام أحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبعة زيد بن ثابت، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

١٣٧. شرح أبيات سيبويه ليوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبي محمد السيرافي، المحقق: الدكتور محمد علي الريح هاشم، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، ط: مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، عام النشر: ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

١٣٨. شرح الكافية الشافية لأبي عبد الله جمال الدين بن مالك، تحقيق د. عبد المنعم هريدي، مطبعة دار المأمون للتراث، مكة المكرمة.

١٣٩. شرح المعلقات التسع، منسوب لأبي عمرو الشيباني، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، ط: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت . لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م.

١٤٠. شرح ديوان الحماسة لأبي على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، المحقق: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٤١. شرح ديوان الحماسة ليحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، ط: دار القلم – بيروت.

١٤٢. شعر الأحوص الأنصاري، جمع وتحقيق د. إبراهيم السامرائي، ط: مكتبة الأندلس . بغداد، شارع المتنبي، سنة ١٩٦٩م.

١٤٣. شعر ساعدة بن جؤية الهذلي لميساء قتلان، رسالة جامعية مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق.

١٤٤. علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» للدكتور محمد أحمد قاسم، والدكتور محيي الدين ديب، ط: المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.

١٤٥. الكتاب لسيبويه، المحقق: عبد السلام محمد هارون، ط: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٤٦. لسان العرب لابن منظور، ط: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.
١٤٧. ليس في كلام العرب للحسين بن أحمد بن خالويه، المحقق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة: الثانية، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٤٨. المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لمحمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني، المحقق: عبد الكريم العزباوي، ط: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية.
١٤٩. المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، المحقق: عبد الحميد هنداوي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٥٠. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه حسن حمد، أشرف عليه وراجعه د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
١٥١. المنهاج الواضح للبلاغة لحامد عوني، ط: المكتبة الأزهرية للتراث.
خامسًا: كتب الفقه والأصول.
١٥٢. الإحكام في أصول الأحكام للإمام الآمدي، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، ط: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان.
١٥٣. الأم للشافعي، ط: دار المعرفة – بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١٥٤. التمهيد في أصول الفقه لأبي الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوذاني، ط: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – جامعة أم القرى، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.

سادسًا: كتب التاريخ والتراجم والطبقات:

١٥٥. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال لمغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري، ط: دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

١٥٦. تاريخ أصبهان لأبي نعيم، المحقق: سيد كسروي حسن، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٥٧. تاريخ الإسلام للذهبي، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.

١٥٨. تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) لابن جرير الطبري، ط: دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٣٨٧ هـ.

١٥٩. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

١٦٠. تذكرة الحفاظ للذهبي، ط: دار الكتب العلمية بيروت . لبنان، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٦١. تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، المحقق: محمد عوامة، ط: دار الرشيد . سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ . ١٩٨٦م.

١٦٢. التَّكْميل في الجَرْح والتَّعْدِيل ومَعْرِفة الثِّقَات والضُّعفاء والمجَاهِيل لابن كثير، ط: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث.

١٦٣. تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ط: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

١٦٤. تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي، المحقق: د. بشار عواد معروف، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

١٦٥. الثقات لابن حبان، ط: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط١، ١٣٩٣هـ.

١٦٦. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ط: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية . بحيدر آباد الدكن . الهند، ط: دار إحياء التراث العربي . بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١هـ . ١٩٥٢م.

١٦٧. سير أعلام النبلاء للذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م.

١٦٨. الطبقات الكبرى لابن سعد، المحقق: إحسان عباس، ط: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨م.

١٦٩. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي، المحقق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، ط: دار القبلة للثقافة الإسلامية – مؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

١٧٠. لسان الميزان لابن حجر، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، ط: دار البشائر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٢م.

١٧١. ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م.